جامعة القرآن الكريم والعلوم الإكاديمية
University of the Holy Quran and Academic Sciences

# فاطمة وابناها الحسن والحسين عليهم السلام

إعداد الدكتور/ حمود عبدالله الأهنومي

بسم الله الرحمن الرحيم

# المحتويات


| المحتويات | ص |
|---|---|
| مخرجات المقرر | 6 |
| مخرجات الفصل الأول: | 7 |
| المقدمة | 8 |
| دوافع تأليف وجمع هذا المقرر: | 11 |
| أهمية البحث: | 11 |
| لماذا غُيِّبت الزهراء؟ | 13 |
| مكة وبنو هاشم | 15 |
| أمها خديجة | 16 |
| ولادتها | 18 |
| نشأتها | 20 |
| جهادها صغيرة | 23 |
| أسماؤها وألقابها | 26 |
| وصفها الخِلقي | 28 |
| فاطمة في القرآن | 29 |
| فاطمة في كلمات الرسول الكريم وتعاملاته | 32 |
| علمها | 38 |
| مروياتها الحديثية | 44 |
| المجاهدة .. بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم | 48 |
| موقفها من الشهداء | 51 |
| أم أبيها .. ولماذا؟ | 52 |
| زوجة علي عليه السلام | 56 |
| سنها عند الزواج؟ | 58 |
| خِطبتها | 59 |
| إيذانها | 59 |
| مهرها | 60 |
| خُطبة العقد | 61 |

| المحتويات | ص |
|---|---|
| جهاز بيتها | 61 |
| وليمة عرسها | 63 |
| زفافها | 64 |
| الزوجية إكرام وتقدير وشراكة | 66 |
| تعاونهما | 70 |
| خادمة البيت سيدة فيه | 73 |
| أناقة .. وبساطة | 74 |
| زوجة المجاهد مجاهدة | 74 |
| أم الحسنين | 78 |
| تسميتهما | 78 |
| آداب النفاس | 80 |
| العقيقة ووقت التسمية | 81 |
| تربية أولادها | 82 |
| دورها الاجتماعي | 84 |
| دورها السياسي | 85 |
| فدك نحلتها من أبيها | 86 |
| خطبتها بشأن الإمامة وفدك في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم | 86 |
| خطبتها في نساء المهاجرين والأنصار في مرض موتها() | 95 |
| وفاتها وقبرها | 97 |
| تكاليف ونشاطات الفصل الأول | 99 |
| مخرجات الفصل الثاني: | 107 |
| المقدمة | 109 |
| المبحث الأول: الحسن عليه السلام في حياة الرسول | 111 |
| 1 - ولادته عليه السلام | 111 |
| 2 - ملامحه الشخصية | 113 |

| المحتويات | ص |
|---|---|
| 3 - نشأته وتربيته | 114 |
| 4 - مناقبه وفضائله | 119 |
| 5 - الحسن والرزية ثم الفاجعة الكبرى | 128 |
| المبحث الثاني: الحسن عليه السلام في عهد المشايخ الثلاثة | 132 |
| 1 - الانحرافة الأولى | 132 |
| 2 - نكبة أمّه الصديقة وموتها | 133 |
| 3 - إقصاء وتهميش دور والده الإمام عليه السلام | 134 |
| 4 - ترويج السلطة الجديدة لنفسها بإجلال الحسن والحسين عليهما السلام | 135 |
| 5 - الحسن و (الشورى) | 136 |
| 6 - في مواجهة الفساد المالي والإداري في عهد عثمان | 137 |
| المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته وحياته الشخصية | 139 |
| 1 - أخلاقه وصفاته | 139 |
| 2 - حياته الشخصية | 147 |
| المبحث الرابع: الحسن في عهد والده الإمام علي عليهما السلام | 153 |
| 1 - في قتال الناكثين (معركة الجمل) | 153 |
| 2 - في قتال القاسطين (معركة صفين) | 156 |
| 3 - بعد مهزلة التحكيم | 158 |
| 4 - عند استشهاد والده عليهما السلام | 159 |
| المبحث الخامس: خلافته وبيعته وجهاده للقاسطين | 161 |
| 1 - بيعته | 161 |
| 2 - ولايته منصوص عليها | 164 |
| 3 - حرب لمن حارب، وسلم لمن سالم... لماذا؟ | 165 |
| 4 - إجراءات تفيد أنه يعتزم الجهاد | 167 |
| 5 - اشتعال الحرب الباردة | 167 |
| 6 - إعلان الجهاد ضد القاسطين | 169 |
| 7 - تشكيل الجيش وعقد الألوية | 171 |
| 8 - استثمار معاوية في البيئة العراقية القلقة | 172 |

| المحتويات | ص |
|---|---|
| 9 - اضطراب الجيش المضطرب أصلا | 178 |
| 10 - محاولة اغتيال الإمام نفسه | 179 |
| 11 - مرض الإمام الحسن وتفرق الناس عنه | 180 |
| المبحث السادس: صلح الإمام الحسن عليه السلام (هدنة مشروطة) | 182 |
| أولا: الصلح هو الخيار الأفضل والمتاح | 182 |
| ثانيا: أسباب الصلح | 183 |
| ثالثا: تنوّع أدوار وهدف واحد | 194 |
| رابعا: بنود الصلح | 196 |
| خامسا: الصلح يشهد بعبقرية الإمام الحسن عليه السلام | 199 |
| المبحث السابع: ما بعد الصلح | 201 |
| 1 - موقف قيس بن سعد | 201 |
| 2 - نقض معاوية للصلح وإعلانه النكث | 202 |
| 3 - هل حَفظَ الصلح دماء الشيعة؟ | 204 |
| 4 - لم يعترف بشرعية معاوية | 205 |
| 5 - معاوية في الكوفة | 206 |
| 6 - مظلومية الإمام الحسن عليه السلام | 207 |
| 7 - ما بين صلح الحسن وثورة الحسين عليهما السلام | 209 |
| 8 - بعض من أقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام عن الصلح | 211 |
| 9 - الدروس المستفادة من صلح الإمام الحسن عليه السلام | 212 |
| 10 - أهل البيت يعودون إلى مدينة جدهم | 213 |
| المبحث الثامن: استشهاده ودفنه | 215 |
| 1 - جعدة .. مسممة زوجها الإمام | 215 |
| 2 - إلى الرفيق الأعلى | 217 |
| 3 - تشييع الإمام | 218 |
| 4 - فتنة الدفن ويوم البغل | 219 |
| 5 - مكان قبره ووداعه | 222 |
| تقويم الفصل الثاني | 224 |

## مخرجات المقرر

**يتوقع من الطالب بعد دراســـة هذا المقرر أن يكـــون قادرا على:**

1 - الإلمـام بوقائـع وأحـداث حيـاة الصديقـة الزهـراء وولديهـا الإمامـين الشـهيدين الحسـن والحسـين عليهم السلام.

2 - ذكـر أبـرز المحطـات الإيجابيـة والسـلبية في تعامـل الأمـة الإسـلامية مـع الصديقـة الزهـراء وولديهـا الإمامـين الحسـن والحسـين عليهم السلام.

3 - تحليـل وتفسـير وقائـع وأحـداث أبـرز محطـات حيـاة الزهـراء وولديهـا الحسـن والحسـين عليهم السلام ومقارنتهـا بأشـباهها وأغيارهـا واسـتخلاص أسـبابها ومتغيراتهـا.

4 - الاسـتفادة مـن أحـداث حيـاة الزهـراء وولديهـا وتوظيفهـا في صناعـة أحـداث وإنجـازات إيجابيـة في الواقـع العمـلي المعـاصر.

5 - الاعتزاز بالتاريخ الجهادي والعلمي للزهراء وولديها الحسن والحسين عليهم السلام.

6 - الشـعور العـالي بأهميـة مبـادئ التسـليم لعلـم الهـدى، وتحمـل المسـؤولية، والتعـاون عـلى الـبر، والتقـوى، والحـوار، وحسـن التخطيـط، والإدارة الرشـيدة، والإخـلاص، والوعـي الإيمـاني، والواقعيـة السياسـية، والتضحيـة في سـبيل اللـه، وخطـورة غيابهـا في الواقـع العمـلي.

7 - المساهمة والمشاركة في الحركة الجهادية والعلمية المعاصرة.

8 - التنبـؤ بالأحـداث المشـابهة لمـا ورد في سـيرة الزهـراء وولديهـا بإعـمال مبـدأ السـنن الإلهيـة القرآنيـة في التاريـخ.

9 - اتخاذ القرار الصائب بالاستفادة من العظة التاريخية.

# الفصل الثاني: الإمام الحسن بن علي عليهما السلام

## مخرجات الفصل الثاني:

يتوقع من الطالب بعد دراسته هذه الفصل وقيامه بالأنشطة المرافقة له أن:

1 - يكتب البطاقة الشخصية للإمام الحسن بن علي (مولده، ووفاته، ومكان دفنه، وأولاده، وأبرز زوجاته).

2 - يعدد أربعة فضائل للإمام الحسن من كتاب الله أو كلام رسول الله (ص).

3 - يشرح أربعة أساليب تربوية قام بها الرسول ﷺ مع ولديه الحسن والحسين يستفيدهما في تربية أبنائه، ويرتبها حسب أهميتها.

4 - يقدّر أهمية التربية البدنية والزكاء الروحي وتعليم أساسيات الإسلام والقراءة والكتابة للطفل.

5 - يؤيد أسلوب التعليم بالاتباع.

6 - يقارن في أربعة أساليب من أساليب المكر والكيد بين معاوية وتحالف العدوان على اليمن.

7 - يصمم استراتجية إعلامية وتعبوية في مواجهة أعدائنا اليوم من خلال ما قام به الإمام الحسن في عهد والده.

8 - يحلل نقاط ضعف جيش الإمام الحسن، ويقترح المعالجات العملية لها.

9 - يسرد ظروف الصلح التي أجبرت الإمام الحسن على المهادنة لمعاوية.

10 - يروي دور الإمام الحسن في حياة الشيوخ الثلاثة.

11 - يعلل قدرة معاوية على حرب الإمام الحسن من داخل جيشه العراقي.

12 - يستنتج عبقرية الإمام الحسن من خلال بنود الصلح بينه وبين معاوية.

13 - يبين علاقة صلح الإمام الحسن بثورة الإمام الحسين

14 - يحذر خطورة اختراق الجدار الأمني للقائد.

15 - يذكر أبرز أربع وصايا من وصية الإمام علي لولده الحسن عليهما السلام مما تتعلق بهذا المقرر.

16 - يفنّد كون الإمام الحسن عليه السلام كثير الزواج كثير الطلاق، ويذكر أول من اختلق هذه الفرية مع التعليل.

17 - يفسر عدم تحول تعظيم الأمة وإجلالها للإمامين الحسن والحسين من قبل عامة المسلمين إلى مواقف وسلوكات عملية.

18 - يُقَيِّمُ دورَ الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ في حياة والده، ويذكر التوصيف المعاصر لذلك الدور.

19 - يحدد أهم التوجيهات العسكرية في وصية الإمام الحسن لقائد جيشه عبيدالله بن العباس، وأبرز المخالفات التي ارتكبها عبيدالله.

20 - يشخّصْ نقاطَ الضعف في جيش الإمام الحسن، ويفترض السيناريو الذي كان سيحدث لو لم تكن نقاط الضعف تلك موجودة.

21 - يعدد أبرز أربعة أسباب لخيانة عبيدالله بن العباس ويفترض على ضوئها إمكانية تكرر هذه الحالة الخيانية اليوم.

22 - يقيم نقاط قوة الإعلام المعادي لمعاوية مقارنا إياه بإعلام تحالف العدوان اليوم.

23 - يضع المقترحات والحلول العملية لنقاط الضعف في جيش الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ.

24 - يضع خطة تحول دون سأم المجاهدين في الجبهات اليوم بالاستفادة من معرفة أسباب سأم جيش أهل العراق.

25 - يدرك فداحة وخطورة غياب القادة المؤثرين المرتبطين بالقرآن ذوي الروحيات الجهادية والتسليم للقائد من الساحة.

26 - يعقد مقارنة بين وضعيتنا اليوم ووضعية أهل العراق في القبول بإشاعات العدو أو رفضها من خلال أبرز أربع نقاط.

27 - يعدد أسباب ومظاهر قوة جيش معاوية، وما الذي ينطبق منها اليوم على جيش تحالف العدوان السعودي الأمريكي الإماراتي.

28 - يعدد ثلاثة من الدروس المستفادة من صلح الإمام الحسن، ويستشهد على كل واحد منها بشاهد من أحداث عصرنا.

29 - يستنتج أربعة دروس من حادثة سم جعدة بنت الأشعث لزوجها الإمام نستفيد منها في واقعنا اليوم.

# المقدمة

الحمدلله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وبعد..

من الثوابت عند المسلمين أن الإمامين الأعظمين الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وهذا يعني عظيم مقامهما عند الله، وهو مقام يشير إلى أفضليَّتهما، وعِظَمِ أعمالِهما، وإنجازاتهما عند الله، والتي جاءت كنتيجة لحسن استجابتهما واستعمالهما للصفات والغرائز الفطرية، التي وهبهما الله إياها، فما الإنجازات التي حققها الإمامان العظيمان ليكونا بهذا المستوى من السيادة على كل شباب أهل الجنة؟ وما الدروس العملية التي يجب أن نستفيدها من حركتهما القرآنية في هذه الدنيا؟

ومن المعلوم عندنا أن الإمام الحسن عليه السلام هو وليُّ أمرِ هذه الأمة، وعَلَمُها، بعد استشهاد أبيه عليه السلام، ومن هنا لا بدّ من التعرُّف على سيرته وتاريخه؛ لاكتساب مزيدٍ من الدروس والعِبرَ، ومن المهم اكتسابُ الوعي والتزوُّدُ من دروس التاريخ في باب العظة والاعتبار، واكتساب التجارب السابقة، ولا نجد أعظم دروسا وأكثرها أهمية من دروس أعلام الهدى، من بعد سير الأنبياء صلوات الله عليهم.

والأسئلة التي تلوح لنا حول الإمام الحسن عليه السلام، هي: كيف تربىّ الإمامُ الحسن عليه السلام؟ وأيُّ دروسٍ أجادها عند جدّه صلوات الله عليه وآله، وأيُّ مهاراتٍ وصفاتٍ اكتسبها من والده الإمام عليه السلام؟ وأي ولد كان لأمه الزهراء سلام الله عليها؟ ومتى بدأ خطَّه العلمي ومشواره الجهادي؟ وماذا أنجز في ذلك؟ وكيف كان موقفه من الانحرافات التي حصلت بعد موت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم صلى الله عليه وآله؟ وأيُّ دور قام به في خلافة والده؟ وما المهمات الكبرى التي اضطلع بها؟ ثم كيف كانت بيعته، وخلافته، وجهاده؟ وما الظروف التي ألجأته إلى الموادعة وتسليم السلطة الزمنية بشكل مؤقت؟ وهل مسلكه في الموادعة خالَف مسلك أبيه من قبل وأخيه من بعد؟ أم أنهم جميعا كان يمضون في خط واحد لتحقيق هدف واحد وغاية واحدة؟

وما بنود ذلك الصلح المشهور في التاريخ؟ وما نتائجه وتطوراته؟ وكيف استفادت منه ثورة الإمام الحسين عليه السلام فيما بعد؟ وما الدروس التي يمكننا التقاطها منه اليوم؟ وما أبرز محطات حياة الإمام الحسن الشخصية، من زواج، وأولاد؟ وكيف كان استشهاده؟ وخاتمة مطافه؟ وكيف اختُرِقَ أمنه الشخصي؟.

كل هذه الأسئلة تشكل بمجموعها مُشْكِلَ هذا الفصل الذي بين أيديكم، والتي في بعضها حاولنا التوضيح للبسٍ ولغط يثاران كثيرا حول صلحه مع معاوية، وتصوير أنه كان على طريقة مخالفة لأبيه، وأخيه، وهذا ما يجمع عليه أعداء أهل البيت وبعض شيعتهم؛ فالأعداء يعتبرون أنه اختار طريقا أفضل من طريق أبيه في الجهاد والحرب للمنحرفين، بينما بعض الشيعة يعتبرون أنه اختار طريقا خاطئة ومخالفة لما كان عليه أبوه، ثم لما كان عليه أخوه، سلام الله عليهم جميعا.

الجدير بالذكر أنه آن الأوان لرفع ظلامة الشيعة التي أوقعوها على الإمام الحسن، بإنصافه، وقراءة حركته العلمية والجهادية قراءة منصفة في إطار مقامه العظيم الذي تبرزه الآيات، والأحاديث النبوية، وفي إطار حركته الزمني والتاريخي والمكاني، وفي إطار ظروفه المتاحة والممكنة، بعيدا عن المثاليات الجوفاء التي لا تنظر إلى الأسباب والعوامل والنتائج بأي اعتبار.

آن الأوان لإنصاف الإمام الحسن من محبيه قبل مبغضيه؛ فإذا كان الإمام الحسين مظلوما من أعداء أهل البيت فإن أخاه الإمام الحسن ظل مظلوما من أعداء أهل البيت ومن بعض محبيهم، ولا ينصفونه، بل أسقط بعضُ الشيعة إمامَتَه، بل وإمامةَ أولاده، ويكاد أن يَغيبَ اليوم من الساحة العلمية والجهادية بشكل مخيف ومقلق.

لهذا كان لا بد من وضع هذا الفصل ضمن مقرر هذا الفصل، ليجيب عن كل تلك الأسئلة المارة آنفا، وعن كثير من اللبس واللغط، الذي قد يثار هنا وهناك.

# المبحث الأول: الحسن عليه السلام في حياة الرسول صلى الله عليه وآله

تشكل مرحلة الصغر في عمر كل إنسان حجر الزاوية في حياته، فبقدر التربية التي يمر بها تنطبع حياته، وتتشكل أفكاره، وأولوياته، وتتحقق إنجازاته وأعماله، إيجابا أو سلبا، فأي تربية ترباها الإمام الحسن، ومن هم أساتذته الذين تأثر بهم؟ واكتسب خبراتهم ومعارفهم؟ وهذا ما سيناقشه هذا المبحث بعون الله.

## 1 - ولادته عليه السلام

وُلِدَ عليه السلام بالمدينة للنصف من شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة بعد وقعة أحد[1]، وكأن الله سبحانه وتعالى قد استبدل حُزْنَ الرسول صلى الله عليه وآله على شهداء أحد بأنْ رَزَقَه هذا المولود المبارك في هذا الشهر المبارك؛ لتجري سنة الله في الحياة ما بين قادم إلى الدنيا، يطلب منه النشأة على طاعة الله، وذاهب عنها في سبيل الله.

وقد جاء رسول الله صلى الله عليه وآله بعد مولد الحسن عليه السلام، وأشرف بنفسه مباشرة على آداب الولادة[2]؛ وهذا يدل على عظيم اهتمام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله بهذا المولود، وهو ما دلت عليه تعاملاته مع هذا المولود وأخيه، وأن لهما شأنا لا يفوقه شأن، وأن نهتم في واقعنا بهذه الآداب على النحو الذي كان عليه صلى الله عليه وآله.

### أ - آداب وسنن الولادة:

1 - اللف في خرقة بيضاء، روت أسماء بنت عميس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لها بعد مجيئه: (يا أسماء هاتي ابني)، فدفعته إليه في خرقة صفراء، فرمى بها النبي صلى الله عليه وآله، فقال : (يا أسماء ألم أعهدْ إليكِ أن لا تَلُفِّي المولود في خرقة صفراء)، فلفَّته في خرقة بيضاء، فدَفَعَتْه إليه، فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى[3].

(1) الهاروني: الإفادة، ص31؛ وابن سعد: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ص28.
(2) صحيفة الإمام علي بن موسى الرضا، ص466.
(3) المصدر السابق.

2 - الأذان والإقامة، كما تقدم، وهو أدب عظيم، وبداية موفّقة يبدأ بها المولود حياته، وهو يسمع التكبير لله، ليصغر عنده كل ما سواه، والشهادة له بالوحدانية، ولمحمد بالرسالة، والنداء إلى الصلاة، والفلاح، وخير العمل، فتكون هذه المفردات أول ما يشق سمعه، ويملأ فؤاده، ويستقبل بها عالم وجوده، وكان من حسن حظ هذا المولود أن أذّن وأقام في أذنيه، وأن سمع أوَّلَ صوتٍ منه، جدُّه رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وهذا يدل على فضله.

هذه الآداب في الولادة لا ينبغي أن تفوت الآباء حين ولادة أولادهم، لتنغرس هذه الكلمات والمفاهيم في أعماق أنفسهم، وتتغذّى بها مشاعرهم، وتنطوي عليها أفئدتهم، فلا تزال حياتهم في حالة قيام إلى صلاة مستمرة حتى الموت وإقامة صلاة الجنازة عليهم، فكأنَّ حياتهم كلها مؤطَّرة ما بين أذان وإقامة عند المجيء إلى هذه الدنيا، وصلاة بعد مغادرتها.

3 - تحنيكه، والتحنيك: هو إدخال الإصبع في فم الصغير عند ولادته، وقد ورد أنه صلى الله عليه وآله لثى (بلّل) وليده الحسن بريقه، فحنّكه، وقال: (اللهم إني أعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم)[1].

4 - التعويذ، كما مر، وسيأتي أن رسول الله كرّر هذا التعويذ للحسن والحسين عليهما السلام في صغرهما.

5 - التسمية، وقد مرّ أن تسمية الحسن والحسين كان بأمر من الله، وأن الإمام عليا انتظر تسمية والدهما الرسول صلى الله عليه وآله لهما. وروى ابن سعد عن الباقر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله سمّى حسنا وحسينا يوم سابعهما، واشتق اسم حسين من حسن[2].

6 - العقيقة، وقد تقدم الحديث عنها. وهي أدبٌ ينبئ عن الشكر لله من الذين أَنْعَم عليهم، وعظيمِ امتنانهم له، ومدى استعدادِهم الدائم لأن يكونوا مصدر سعادة للآخرين، يسعد من خلالها الأهلُ والأقاربُ، ويصلُ خيرُها إلى المساكين والفقراء.

(1) الشرفي: اللآلي المضية، ج3، ص19.
(2) ابن سعد: ترجمة الإمام الحسن عليه السلام، ص33.

7 - حلق شعر رأسه يوم السابع، والتصدّق بوزنه ذهبا أو فضة.

8 - الختان. وقد قال الرسول صلى الله عليه وآله: (اختنوا أولادكم يوم السابع فإنه أطهر، وأسرع نباتًا للحم)[1].

9 - كنيته: وقد كنّاه والدُه النبي صلى الله عليه وآله أبا محمد، ولا كنية له غيرها[2].

### ب - ألقابه:

ولقِّب عليه السلام بـ(السبط)، و(الزكي)، و(المجتبى)، و(السيد)، و(التقي)[3].

## 2 - ملامحه الشخصية

كان عليه السلام أبيض اللون، حسن الوجه، فصيحَ اللسان[4]، وكان أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله وجهًا[5]، وقد روى أنس بن مالك أنه قال: «ما كان من أهل البيت أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من الحسن بن علي»، وقال أبو جحيفة: «رأيْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله أبيضَ، قد شاب، وكان الحسن بن علي يشبهه»[6].

وقد صوّر رواة الأثر صورته بما ينطبق على صورة جده صلى الله عليه وآله، فقالوا: وكان الحسن أبيضَ، مُشْرَبًا بحُمْرة، أَدْعَجَ العينين[7]، سهْلَ الخَدَّين[8]، دقيقَ المَسْرُبَة[9]، كثَّ اللحية[10]، ذا وَفْرة[11]، كأنَّ عنقه إبريقُ فضة[12]، عظيم الكراديس[13]،

(1) صحيفة الإمام علي بن موسى الرضا، ص495.
(2) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ص54.
(3) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ص55.
(4) الهاروني: الإفادة، ص32؛ والإمام عبدالله بن حمزة: الشافي، ج1، ص504. وأخباره وخطبه ومقاماته في حضور أعدائه وأتباعه تشير إلى فصاحته وبلاغته، وعدم صحة ما ذكره البعض أنه كان في لسانه رتّة، وثقل وفأفأة.
(5) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص5.
(6) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص179 - 180.
(7) الدعج: شدة سواد العين مع سعتها.
(8) سهل الخدين: غير مرتفع الوجنتين، وليس في خدّيه نتوء ولا ارتفاع.
(9) دقيق المسربة: ما دقّ من شعر الصدر سائلا إلى البطن.
(10) كث اللحية: قصرها مع كثرة شعرها.
(11) الوفرة: شعر الرأس إذا وصل إلى شحمة الأذن.
(12) كأن عنقه إبريق فضة: عنقه يتلألأ بياضا، وصفاء، ونقاء.
(13) عظيم الكراديس: أي ضخم الأعضاء.

بعيدَ ما بين المنكبين[1]، رَبْعَةً ليس بالطويل ولا بالقصير، من أحسن الناس وجها، وكان يَخْضِبُ لحيته بالسواد، وكان جَعْدَ الشَّعَر[2]، حَسَنَ البدن[3].

## 3 - نشأته وتربيته

حظي الحسن وأخوه الحسين عليهما السلام من التربية والتنشئة بما لم يحظ به طفلان في هذه الدنيا: **1** - من كون المربيّ هو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله من جهة، وأباهما علي بن أبي طالب، وأمّهما الزهراء عليهم السلام، من جهة أخرى، **2** - وتربيًا في بيتٍ كان جبريل عليه السلام من رُوَّاده، بما يبعث ذلك من أجواء روحية وتربوية إيجابية، وقد قال الإمام الحسن عليه السلام في بعض خطبه: (وأنا من أهل البيت الذين كان جبريل يَنزِلُ إلينا، ويَصْعَدُ من عندنا، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهّرهم تطهيرا)[4].

وإذا كان للطفل من التربية حاجتان، حاجة بدنية، وحاجة فكرية وروحية وثقافية، فقد كان للإمام الحسن وأخيه النصيب الأكبر منهما؛ حيث كان المعلم الأكبر، والمربي الأعظم، في هذا البيت، هو رسول الله صلى الله عليه وآله الذي أهّله الله ليكون أستاذا للبشرية جمعاء، وليجسِّد التربية القرآنية في واقع أمته وأهل بيته، فلدينا من الروايات التي تعود إلى مرحلة نشأة وتربية الإمام الحسن ما يشير إلى كيفية تربية رسول الله صلى الله عليه وآله ووالده لهما، بما يساعدنا على أن نربي أولادنا التربية المثلى، والتنشئة الفضلى.

-**التنشئة الصحية**: ففي التنشئة البدنية والمادية اهتم بمأكلهما ومشربهما، على النحو الصحي الإيجابي، وكان يحرص على توفير ما يمكن توفيره من الملبس الجميل، والمأكل الصحي المناسب، بل بلغ به الحال إلى أن لا يدخل في فمِ واحدٍ منهما ما لا يجوز له من الأكل، ولو كان طفيفا[5].

(1) المنكب: مجتمع رأس الكتف والعضد، أي كان عريضا.
(2) الجعد من الشعر: ما فيه التواء وتقبُّض.
(3) الطبري: ذخائر العقبى، ص127.
(4) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص72.
(5) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج1، ص895.

-**التربيـة الرياضيـة:** ولأنـه صلى الله عليه وآله كان حريصًا على تَمَتُّعِهما باللياقـةِ الكافيـةِ، والصِحَّةِ الجسمانية الجَيِّدة، بما يمكّنهما من القيام بما افترضه الله عليهما من جهاد، وإقامةٍ للقسط، وفرائضَ عمليةٍ شتى، فقد كان صلى الله عليه وآله يَحْرِصُ على تدريبهما جسمانيا، ويمرّنهما على القتال، وهو هنا كان يعدُّهما للجهاد في سبيل الله بجسم سليم، وصحة بدنية كريمة، ووردت هنا رواياتٌ تبيّنُ عظيمَ اهتمامِه صلى الله عليه وآله بهذا الجانب من حياة الحسنين عليهما السلام، بل وكيف كان جبريل عليه السلام جزءًا أصيلاً من هذا المشهد النبوي الكريم في حياة أهل بيته؛ فقد روى الإمام أبو طالب بسنده عن الإمام علي عليه السلام، قال: «اصطرع الحسنُ والحسينُ عليهما السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إيهٍ يا حسنُ، فخُذْ حُسَينًا)، فقالت فاطمة: أتستنهضُ الكبير على الصغير؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (هذا جبريل يقول: إيهٍ يا حسينُ، خذ الحسن)، فاصطرعا، فلم يصرع واحدٌ منهما صاحبه»[1].

ولعل حلبة الاصطراع التدريبي كانت تتكرّر بين هذَين الطِّفْلَين، وكان الجمهور المشجِّع لهذا الاصطراع هما الرسول محمد صلى الله عليه وآله من جهة، وجبريل عليه السلام من جهة أخرى؛ إذ ورد في رواية أخرى عن ابن عباس، أنه قال: ائتخذ[2] الحسن والحسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعل يقول: (هي يا حسن، خذ يا حسن)، فقالت عائشة: تعين الكبير على الصغير؟ فقال: (إن جبريل يقول: خذ يا حسين)[3].

وفي هذا ما فيه من درس لنا في الاهتمام بالتنشئة الجسمانية لأولادنا.

-**تعليم نطق الكلمات المؤثرة:** ومما يتصل بهذا الجانب أن رسول الله يعلِّمُنا كيف نتعامل مع أولادنا حتى في مساعدتهم على نطق الكلمات، ولا سيما تلك الكلمات التي تملأ وجدانهم وأحاسيسهم بالحب والتعظيم لله الكبير العظيم؛ فقد حدث أن أبطأ الحسنُ عليه السلام في نطق الكلام، فخرج الرسول صلى الله عليه وآله إلى العيد[4]، وهو

(1) الهاروني: تيسير المطالب، ص145.
(2) ائتخذ القوم يأتخذون: إذا تصارعوا.
(3) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص223.
(4) في أنساب الأشراف: إلى البيت، ولعل الصحيح ما أثبت، أو لعل الرواية: من البيت.

معه، فلمّا كبّر رسول الله صلى الله عليه وآله كبّر الحسن، فسَرَّ ذلك رسولَ الله صلى الله عليه وآله حتى تبينّ الحاضرون السرورَ في وجهه، وكبّر صلى الله عليه وآله فكبّر الحسن إلى سبع تكبيرات، فوقف الحسن عند السابعة، وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله، وركع، ثم قام في الركعة الثانية، فكبّر النبي صلى الله عليه وآله وكبّر الحسن حتى انتهى إلى خمس تكبيرات، فوقف الحسن عندها، وتلك سنة العيد[1].

-**تعليم الصلوات والدعاء:** وفي التنشئة الفكرية والثقافية والروحية والأخلاقية ورد من تربية الرسول صلى الله عليه وآله للحسن والحسين عليهما السلام الكثيرُ مما يجب أن نستفيده في واقعنا العملي مع أبنائنا وأجيالنا، وما يجعلنا نراجع حساباتنا وتعاملاتنا وتربيتنا لأولادنا، ومن ذلك أنه صلى الله عليه وآله كان يُعَلِّمُ الحسنَ عليه السلام الصلواتِ الخَمْسَ، والدعاءَ بعد الصلاة، وقد روِيَ عن الحسن عليه السلام أنه قال: «حفظْتُ عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعليمَه إياي الصلوات الخمس، وقولَه لي: قل إذا صليت: (اللهم اهدني فيمَنْ هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولّني فيمَنْ تولَّيْتَ، وبارِكْ لي فيما أعطَيْتَ، وقِنِي شرَّ ما قضَيْتَ، إنه لا يذل مَنْ واليت، تباركت وتعاليت)»[2].

-**تربية التزكية:** ومن خلال تربية الرسول صلى الله عليه وآله لولده الحسن عليه السلام، يتضح أنه على الأب أن يحرص على زكاء أولاده روحيا، فلا يأكلون إلا من الحلال، وأن يجنِّبَهم أكلَ الحرام ولو كان شيئا قليلا، كما عليه أن يغرس فيهم حبّ الصدق وكراهة الكذب؛ باعتباره مما يهيئُ لهم الصحة النفسية أيضا، وقد روى أبو الجوزاء، قال: قلت للحسن بن علي: ما تذكر من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: أذكر من رسول الله صلى الله عليه وآله أني أخذت تمرة من تمر الصدقة، فجعلتها في فيَّ، قال: فنزعها رسول الله صلى الله عليه وآله بلعابها، فجعلها في التمر، فقيل: يا رسول الله، ما كان عليك من هذه التمرة لهذا الصبي!، قال: (إنا، آلَ محمد، لا تحلُّ لنا الصدقة)، قال: وكان يقول: (دعْ ما يَرِيْبُك إلى ما لا يَرِيبُك، فإن الصدقَ طمأنينة، وإن الكذب ريبة)[3].

(1) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص26.
(2) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص20 - 21.
(3) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج1، ص895.

-**التعليم بالحوار والاختبار:** وكان الإمام عليٌّ هو المعلم الثاني للحسن والحسين عليهم السلام، لا يفتأ يزكّيهما ويُعَلّمهما كلَّ ما يحتاجانه من المهارات والمعارف والقيم والأخلاق، حتى أنه كان يختبرهما ويمتحنهما في صنوف المعرفة، وهو أسلوبٌ يجدُرُ بكل معلمٍ وأبٍ أن يستعمله مع أولاده.

وممّا يُرْوَى في ذلك تلك الجواباتُ الحكيمة، والكلمات المسدّدة، للحسن عليه السلام، على أسئلة أبيه له، فعن الحارث الأعور الهمداني، أنَّ عليا عليه السلام سأل ابنه الحسن عن أشياء من المروءة، فقال: يا بني ما السداد؟ قال يا أبه، السداد دفع المنكر بالمعروف. قال: فما الشرف؟ قال: اصطناع العشيرة، وحمل الجريرة. قال: فما المروءة؟ قال: العفاف وإصلاح المرء ماله.

.... [إلى آخر ما سأله من تلك الأسئلة التي تناولت مفاهيم وقيما وأخلاقا اجتماعية مهمة، وتعتبر من الكلمات الذهبية، والمعارف المميزة].

ثم قال علي عليه السلام: يا بني سمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (لا فقر أشدُّ من الجهل، ولا مالَ أعودُ من العقل، ولا وحشة أوحشُ من العُجْب، ولا مظاهرة أوثق من المشاورة، ولا عقل كالتدبير، ولا حَسَبَ كحُسْنِ الخلق، ولا ورع كالكف، ولا عبادة كالتفكر، ولا إيمان كالحياء والصبر، وآفة الحديث الكذب، وآفة العلم النسيان، وآفة الحلم السَّفه، وآفة العبادة الفترة، وآفة الظرف الصلف، وآفة الشجاعة البغي، وآفة السماحة المن، وآفة الجمال الخيلاء، وآفة الحسب الفخر).

-**تعليم الأساليب والمهارات:** بل لم يترك الإمام علي ولده الحسن ليتعلم بما يفيد نفسه، بل أعدّه ليكون أيضا معلِّمًا لغيره، وقد علمّه ودرّبه على إجادة الخطابة، فهل نحرص اليوم على تعليم أبنائنا هذه المهارات التي بها يستطيعون أن يكونوا منارات للتقوى، ومرشدين إلى الهدى؟!.

لقد قال الإمام علي مرّة لابنه الحسن: (قم فاخطبِ الناسَ يا حسن)، قال: (إني أهابُك، لن أخطب وأنا أراك)، فتغيَّبَ عنه حيث يسمع كلامه ولا يراه، فقام الحسن،

فحمد الله، وأثنى عليه، وتكلّم، ثم نزل، فقال علي عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: 34][1]، ويروي الآبي[2] موقفا مشابها، ويفيد أن الإمام عليا عليه السلام كان يدرِّبُ ويمَرِّنُ ابنه الحسن على الخطابة، فقال له ذات مرة: قم واخطب لأسمع كلامك، فقام، فقال: (الحمد لله الذي مَنْ تكلّم سمع كلامه، ومَنْ سَكَتَ عَلِمَ ما في نفسه، ومَنْ عاش فعليه رِزْقُه، ومَنْ مات فإليه مَعَادُه. أما بعد، فإنّ القبور محلّتُنا، والقيامة موعدُنا، واللهُ عارضنا، إنّ عليًّا بابٌ مَنْ دخله كان مؤمنا، ومَنْ خرج منه كان كافرًا). فقام إليه علي رضي الله عنه فالتزمه، وقال: (بأبي أنت وأمي، ذريةً بعضها من بعضٍ والله سميعٌ عليمٌ).

ولأجل هذا الإعداد الإلهي والنبوي والعلوي للحسن عليه السلام رأيناه وأخاه يكتسبان الأخلاق والرقي والأساليب الحكيمة منذ طفولتهما، وقد اجتازا يوما على شيخ لا يحسن الوضوء، فلم يدعهما السمو في النفس، وحب الخير للناس، أن يتركا هذا الشيخ على حاله لا يُحْسِنُ وضوءه، فأحدثا نزاعا صوريا أمامه، في كون كلٍّ منهما هو الذي يُحْسِنُ الوضوء، والتفتا إلى الشيخ بأسلوبٍ هادئ، وجعلاه حَكَمًا بينهما، فجعل الشيخ يمعن في وضوئهما، فتنبّه إلى قصوره، وقال لهما: كلاكما يحسن الوضوء، وأنا الشيخ الجاهل الذي لا يحسن الوضوء، وقد تعلّمتُ منكما[3].

-**التعويذ:** ومع هذه البرامج التعليمية، والمعارف النافعة، التي كان الحسن والحسين يتلقّيَانها، وما كانا يظهرانه من حسن استجابة، وسرعة تعلُّم، فقد كان رسول الله حريصا على أن يعوِّذه وأخاه خوفا عليهما من الحسد، والحاسدين، ولإبعادهما عن شر الشياطين، والهوام، وغيرها؛ فقد روى ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعوِّذُ الحسن والحسين، بقوله: (أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامّة، وعين لامّة[4])، ثم يقول: (كان أبوكم إبراهيم يعوِّذ بها إسماعيل وإسحاق عليهم السلام)[5]. فهل نطبق هذه السنة النبوية الإبراهيمية المحمدية مع أبنائنا؟.

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص244.
(2) نثر الدر، ج1، ص224.
(3) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص60.
(4) الهامة: الواحدة من هوام الأرض، وهي: دوابُّها المؤذية، والحيات وكل ذي سُمٍّ منها. والعين اللامة: هي العين التي تصيب الإنسان.
(5) الهاروني: تيسير المطالب، ص148.

**-التربية بالرحمة والمحبة:** وقد خصّه رسول الله صلى الله عليه وآله وأخاه بتعاملاتٍ عجيبةٍ، وكان بعضُها يرادُ بها القضاء على بعض العادات الجاهلية، فحين كان الجاهليون يفخرون بأنهم لا يقبّلون أبناءهم، كان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجّه رسالة إليهم بضرورة العودة إلى فطرتهم، وإلى استجلاب الرحمة الإلهية برحمتهم، فقد ورد أنه صلى الله عليه وآله كان يقبِّل الحسن، فقال له الأقرع بن حابس التميمي: لي عشرة من الأولاد، ما قبّلْتُ واحدًا منهم قط، فقال صلى الله عليه وآله: (من لا يَرْحَم لا يُرْحَم)[1].

**-التربية بالوصايا والحكم:** ثم كان أبوه عليه السلام لا يزال بين الفترة والأخرى يلقي عليه درر الكلم، وينثر عليه لآلئ الحِكَم، ويروي التاريخ عددا من الوصايا التي تلقاها ووعاها قلب الحسن عن أبيه عليهم السلام، ومنها وصيته العظيمة والخالدة، التي أراد الإمام عليه السلام أن يُكسِبَ ابنَه من خلالها إدارة وهندسة حياته العامة والخاصة على النحو الذي يريد الله بجميل الأخلاق، وعظيم الصفات، وكريم المحاسن، وجزيل المهارات، ومنتخب الدروس والعظات، وقد شرحها السيد القائد العلم عبدالملك الحوثي في ذي الحجة 1444هـ شرحا بديعا في اثنين وعشرين درسا، فكان شرحه نورا مضافا على نور جده الإمام سلام الله عليهم.

هذه التعاملات والتعليمات كانت جزءا مهما من آليات تربية الرسول صلى الله عليه وآله وتربية الإمام علي عليه السلام لولدهما الحسن التي يجب أن نتعلم منها كيف نتعامل مع أولادنا في مرحلة التربية والتنشئة، فهل لدينا الاستعداد لأن نكون آباء كأبوة رسول الله والإمام علي، وأن نكون أبناء كبنوة الحسن والحسين؟!.

## 4 - مناقبه وفضائله

هناك من الفضائل والمناقب ما تعم الخمسة أصحاب الكساء، وأهل البيت عليهم السلام جميعا، ويدخل فيها الحسن عليه السلام، ومنها ما تشمله وأخاه الحسين عليهما السلام فقط، ومنها ما تخصه وحده.

(1) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص6.

## أولا: مناقبه ضمن الخمسة أهل الكساء

1 - آية المودة، وهي قول الله تعالى: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: 23].

2 - آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب:33].

3 - ما تضمّنَتْه سورة الإنسان من فضل عظيم لهم.

4 - عن زيد بن أرقم قال مر النبي صلى الله عليه وآله على بيتٍ فيه فاطمة وعلي وحسن وحسين، فقال: (أنا حربٌ لِمَنْ حارَبْتُم، سِلْمٌ لِمَنْ سالَمْتُم)[1]. وهذا يبين ضرورة وأهمية أن يكون المسلم مع هؤلاء الخمسة، وخطورة أن يكون في الموقف المناوئ والمحارب لهم.

5 - وعن علي عليه السلام، أن النبي صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين، وقال: (من أحبَّني وأحبَّ هذين وأباهما وأمهما، كان معي في درجتي يوم القيامة)[2]. أي في منزلة عظيمة بالقرب من رسول الله صلى الله عليه وآله.

6 - وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: (النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجومُ من السماء أتى أهلَ السماء ما يوعدون، وإذا ذهبَ أهلُ بيتي من الأرض أتى أهلَ الأرض ما يوعدون)[3]. وأخرج الحاكم عن ابن عباس، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (النجومُ أمانٌ لأهل الأرض من الغرق، وأهلُ بيتي أمانٌ لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفَتْها قبيلةٌ من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس)[4].

7 - حديث الثقلين، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني تارك فيكم الثقلين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبدًا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إنَّ اللطيف الخبير نبَّأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)، وقد ورد بعبارات متعددة، وهو من الأحاديث المتواترة.

(1) الطبراني: المعجم الأوسط، ج7، ص197، رقم7259؛ والمعجم الكبير، ج5، ص184، رقم5030؛ والكوفي: مناقب أمير المؤمنين عليهم السلام، ج2، ص156؛ والحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج3، ص161، رقم 4714؛ والترمذي: سنن الترمذي، ج5، ص699، رقم3870.

(2) الترمذي: سنن الترمذي، ج5، ص641، رقم3733؛ والآجري: الشريعة، ج4، ص310، رقم1591 (ترقيم آلي).

(3) رواه الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، في مجموع رسائله، كتاب فيه معرفة الله عز وجل، ص63، وكتاب القياس، ص497؛ ورواه الحاكم في المستدرك، عن جابر، ج2، ص486، رقم3676.

(4) المستدرك على الصحيحين، ج3، ص162، رقم4715.

8 - حديث السفينة، وهو قول الرسول صلى الله عليه وآله: (مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى)[1].

9 - باب حطة، روى أبو الطفيل، عامر بن واثلة، أنه رأى أبا ذر قائما عند باب الكعبة وهو ينادي: أيها الناس، مَن عرفني فقد عَرَفَني، ومن لم يَعْرِفْني فأنا جُنْدَب الغفاري، صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله، ألا إني أبو ذر، ألا إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وإن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة)[2]. ومثله ما رواه أبو سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق، وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غُفِرَ له)[3].

## ثانيا: مناقبه مع أخيه الحسين عليهما السلام

1 - تكرّر وصف الرسول صلى الله عليه وآله لهما بكونهما (ريحانتيه)، فقد روى الإمام الرضا بسند آبائه ـ صلوات الله عليهم ـ قال رسول الله - صَلّى الله عَلَيْه وآله وسلّم -: (الولد ريحانة، وريحانتي من الدنيا الحسن والحسين)، وفي رواية عن عبدالله بن عمر بن الخطاب، قال عن أهل العراق: يسألونني عن الذباب وقد قتلوا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (هما ريحانَتَيَّ من الدنيا، وهما سيدا شباب أهل الجنة) رواه البخاري ومسلم، وأخرجه أحمد بن حنبل والترمذي والكنجي، بطريقه إليه بلفظ: (إن الحسن والحسين ريحانتي من الدنيا). وقد جاءا يسعيان إليه - صَلّى الله عَلَيْه وآله وسلّم - فأخذ أحدهما فضمه إلى إبطه، ثم جاء الآخر فضمّه إلى إبطه الأخرى، وقال: (هذان ريحانتاي من الدنيا، من أحبّني فليحبهما)، وطرقه كثيرة[4].

(1) رواه الإمام الهادي إلى الحق في الأحكام، والإمام علي بن موسى الرضا في الصحيفة، والإمام أبو طالب، والإمام المرشد بالله في أماليهما، والإمام أبو عبدالله الموفق بالله، والإمام عبدالله بن حمزة في الشافي، وغيرهم كثير، ينظر المؤيدي: لوامع الأنوار، ج1، ص91 - 95.

(2) الكوفي: مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، ج2، ص146؛ والطبراني: المعجم الكبير، ج3، ص45، رقم2637؛ والمعجم الأوسط، ج4، ص9، رقم3478؛ والمعجم الصغير، ج1، ص240، رقم391.

(3) الطبراني: المعجم الصغير، ج2، ص84، رقم825.

(4) انظر تخريج حديث الريحانة بطرقه وعباراته المتعددة في لوامع الأنوار، ج3، ص35 - 37.

إن مما يلاحظ بشكل بين وواضح أنه صلى الله عليه وآله أضفى بشكل دائم عليهما هذا الوصف، بأنهما ريحانتاه، والريحانة: كل بقلة طيِّبة الريح، وهي ما يُسْتَرَاح إليها أيضا، وَشَبَهَّهمَا بِذَلِكَ؛ 1 - لِأَنَّ الْوَلَد يُشَمّ وَيُقَبَّل، وقد كان - كما سيأتي - يقبّلهما، ويشمهما، ويضمهما إليه، ويستريح إليهما، 2 - وإذا كان لكل رجل طِيْبُه وريحانته التي يشمُّها، فقد كان الحسن والحسين الجهة التي تُدْخِلُ السرورَ والراحة والإنعاش على نفس النبي صلى الله عليه وآله وجَسَدِه، بما سيقومان به من دور كريم، يأتي امتدادا لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله.

2 - وروى أنس بن مالك، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وآله: أيُّ أهلِ بيتك أحبُّ إليك؟ قال صلى الله عليه وآله: (الحسن والحسين)، وكان يقول لفاطمة: (ادعِي ابنيَّ)، فيشمُّهما، ويضمُّهما إليه[1].

3 - وروى أسامة بن زيد، أن رسول الله قال وقد اشتمل عليهما عليهما السلام: (هذان ابناي، وابنا بنتي، اللهم إني أُحِبُّهما، فأحِبَّهما، وأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهما)[2]. وفي هذا ما فيه من عظيم القرب والاتصال بين النبي وابنيه الحسن والحسن، والتصريح ببنوتهما له، وإشهاد الله بحبهما، ودعاء الله بالحب لهما، والحب لمن يحبهما.

4 - وروى سلمان الفارسي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (الحسن والحسين ابناي، من أحبهما أحبني، ومن أحبني أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة، ومن أبغضهما أبغضني، ومن أبغضني أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار)[3]. وهو هنا يصرح ببنوتهما له، وأن محبتهما تعني المحبة للرسول، ولله، وسبب في دخول الجنة، وأن بغضهما يعتبر بغضا للرسول، ولله، وسبب في دخول النار.

5 - وأجمعت الأمة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأبوهما خيرٌ منهما)[4]. وهو يفيد سيادتهما في الجنة، ويفيد بطريق

(1) الترمذي: سنن الترمذي، ج5، ص657، رقم3772؛ والمحب الطبري: ذخائر العقبى، ص122.
(2) التِّرْمِذِي: سنن الترمذي، رقم3769؛ والنَّسَائِي: السنن الكبرى، رقم8471.
(3) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج3، ص181، رقم4776.
(4) المؤيدي: لوامع الأنوار، ج3، ص34.

الأولى سيادتهما في الدنيا، ولأن الرسول صلى الله عليه وآله كان يعلم أن قوما من الناصبية سيفرِّقون بين السيدين وأبيهما، وربما حاولوا تفضيلهما عليه، فقد نبّه في هذا الحديث أنّ أباهما خيرٌ منهما.

6 - وروى أبو بريدة، أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان قد اعتلى أعواد المنبر يخطب، فجاء الحسن والحسين، وعليهما قميصان أحمران، وهما يمشيان ويعثران، فنزل صلى الله عليه وآله عن المنبر، فحملهما، ووضعهما بين يديه، وقال: (لقد نظرت إلى هذين الصبيين، وهما يمشيان ويعثران، فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما)[1].

7 - وروى جابر الأنصاري، قال: دخَلْتُ على النبي صلى الله عليه وآله، وهو يمشي على أربع، والحسن والحسين على ظهره، وهو يقول: (نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما)[2]. وهذا بقدر ما هو فضل للحسن والحسين فهو أيضا أسلوب يعلمنا إياه رسول الله صلى الله عليه وآله في التعامل مع أولادنا.

8 - عن يعلى بن مرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (الحسن والحسين سبطان من الأسباط)[3]. والسِبْطُ: خاصَّةُ الأَوْلادِ والمُصاصُ مِنْهُم. ويقال: إن السبط من الأَسْباط: أَي أُمَّةٌ من الأُمَم في الخير.

9 - وبلغ من مزيد حبه وإشفاقه على سبطيه أنه كان يعوِّذهما خوفا عليهما من الحسد، وتعويذه صلى الله عليه وآله للحسن والحسين قد رُوِيَ عن ابن عباس، وعمر بن الخطاب، وعن الإمام علي عليه السلام[4].

10 - ومما اشتهر بين المسلمين قوله صلى الله عليه وآله: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا، وأبوهما خير منهما)[5]. وفي هذا الحديث إشارة إلى ما سيلقاه الإمامان من ظروف عصيبة تمنعهما من القيام بوجوه الإمامة بشكل كامل، وتضطرهما إلى القعود، ومع ذلك فالنص النبوي يبين إمامتهما سواء قاما، أو قعدا.

(1) الهاروني: الأمالي الاثنينية، ص560.
(2) الطبراني: المعجم الكبير، ج3، ص52، ص2662؛ وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص217.
(3) رواه الطبراني، وأبو نعيم، وابن عساكر. ينظر المتقي الهندي: كنز العمال، ج12، ص224، رقم34283.
(4) ينظر السيوطي: جامع الأحاديث، ج22، ص316، رقم24993، وج26، 338، رقم29222، وج31، ص303، رقم34269.
(5) المؤيدي: لوامع الأنوار، ج2، ص522، وج3، ص33.

**11** - وعن أبي هريرة، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله، ومعه حسن وحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرّة، ويلثم هذا مرَة، حتى انتهى إلينا، فقال له رجل: يا رسول الله، إنك لتحبُّهما، فقال: (من أحبَّهما فقد أحبَّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني)[1]. وعن عبدالله بن مسعود، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله أخذ بيد الحسن والحسين ويقول: (هذان ابناي، فمن أحبّهما فقد أحبني، ومن أبغضهما فقد أبغضني)[2].

وأخيرا أود القول بأن ما قام به رسول الله صلى الله عليه وآله تجاه ولديه من حَمِلٍ، وتقبيل، وشم، وتأثر، وحزن، ومحبة، وأمرٍ بمحبتهما، وبإبلاغِ الشاهد محبتهما للغائب، كل ذلك لم يكن فقط استجابة لحالة عاطفية متأصلة في قلب ووجدان كل الآباء تجاه أبنائهم، بل كان ذلك إيصال رسالة هامة إلى أمته لأن تنظر إليهما على هذا النحو، وترتاح لهما ولمنهجهما، ولأخبارهما، إن أرادت أن تتنكّب أسباب الضلالة، وتتجنب عوامل الشقاء.

## ثالثا: مناقبه الخاصة به:

1 - عن زهير بن الأقمر، قال: «بينما الحسن بن علي يخطب بعد ما قُتِل عليٌّ إذ قام رجل من الأزد آدَمُ طوالٌ، فقال: لقد رأيْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله واضعَه في حبوته[3]، يقول: (من أحبّني فليحبَّه، فليبلِّغ الشاهدُ الغائبَ)، ولولا عَزْمَة رسول الله صلى الله عليه وآله ما حدَّثْتُكم»[4]. وهنا يظهر أن رسول الله كان يحرص على إبلاغ هذه المحبة إلى المسلمين، وعليه فلا نملك إلا أن نقول: اللهم إنا نشهد إنه قد وصلنا هذا البلاغ، فوفِّقْنا اللهم بإبلاغه إلى غيرنا.

2 - روى البراء بن عازب، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله والحسن على عاتقه، يقول: (اللهم إني أحبُّه فأحبَّه)[5]. وهنا كان الحسن يتربَّع على عاتق أفضل خليقة الله، ويعلن الرسول صلى الله عليه وآله محبته، ويدعو الله بأن يحبه.

(1) الهاروني: الأمالي الاثنينية، ص532؛ والكوفي: مناقب أمير المؤمنين عليه السلام، ج2، ص243، ورواه ابن حنبل، والحاكم، وابن ماجة. ينظر السيوطي: جامع الأحاديث، ج41، ص376، رقم45306.

(2) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج14، ص151.

(3) الحبوة: جلسة فيها يشتمل الرجل بثوبه، أو يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها.

(4) ابن حنبل: المسند، ج38، ص192، رقم23106؛ وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص197.

(5) رواه البخاري، رقم 3539؛ ومسلم، رقم2422.

3 - وروت عائشة، قالت: إن النبي ﷺ كان يأخذ حَسَنًا، فيضمُّه إليه، ثم يقول: (اللّهم إنَّ هذا ابني، وأنا أُحِبُّه فأَحِبَّه، وأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّه)[1]. وهنا يَبْرُزُ ضم رسول الله لولده الحسن، وإعلان أنه ابنه، وأنه يحبه، ويدعو الله بأن يحبه، وأن يحب من يحبه، ونحن نسأل الله أن يجعلنا ممن يحبه، حتى يحبنا الله تعالى.

4 - وروى أبو جحيفة، قال: رأيت رسول الله ﷺ، وكان الحسن بن علي يشبهه، وقال له رسول الله ﷺ : (إن ابني هذا سيِّدٌ، ومَنْ أحبّني فليُحِبّ هذا في حجري)[2].

5 - وروى ابنُ عباس، قال: أقبل النبي ﷺ، وقد حمل الحسن على رقبته، فلقيه رجل، فقال: نِعْمَ المركب ركبْتَ يا غلام، فقال رسول الله ﷺ: (ونعم الراكب هو)[3]، وحالة ركوب الحسن على ظهر جده حالة تكررت في مواقفَ شتّى، وهي تبيّن عظيم فضله عند جده رسول الله، وعظيم محبة رسول الله له، ولم تخبرنا هذه الرواية من هو الرجل الذي قال له: نعم المركب ركِبْتَ يا غلام، وحرص الرسول ﷺ أن يجيبه بالثناء على الحسن نفسه، وهو الراكب؛ لتعرف الأمة أن هذا الراكب عزيز وكريم وعظيم عند جده، ويجب أن يكون كذلك عند أمة جده، لكن رواية أخرى صرّحت أن القائل هو عمر بن الخطاب؛ حيث قال: رأيت الحسن والحسين عليهما السلام على عاتقي النبي ﷺ، فقلت: نعم الفرسُ تحتكما، فقال النبي ﷺ: (ونعم الفارسان هما)[4].

6 - وروى عبدالله بن الزبير، قال: لقد رأيت الحسن بن علي عليهما السلام يأتي النبي ﷺ وهو ساجد، فيركب على ظهره، وما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل، ويأتي وهو راكع، فيفرج له بين رجليه حتى يأتي من الجانب الآخر[5]. وهكذا يتبين أن الرسول ﷺ كان يتعامل هذه المعاملة اللطيفة مع ولده الحسن، ويسمح له بالصعود فوق ظهره، ويفرج له بين رجليه، وهو في صلاته، والسؤال: كيف

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص197.
(2) الهاروني: الأمالي الاثنينية، ص519، رقم688؛ والأصبهاني: أخبار أصبهان، ج4، ص241، رقم1096 (ترقيم آلي).
(3) الحاكم: المستدرك على الصحيحين، ج3، ص186، رقم4794.
(4) المتقي الهندي: كنز العمال، رقم37673، وقال: أخرجه أبو يعلى، وابن شاهين في السنة.
(5) المحلي: الحدائق الوردية، ج1، ص153؛ وينظر البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص19.

يتعامل بعضنا اليوم مع أولاده حتى في الحالات العادية خارج الصلاة؟!.

7 - وروى جابر بن عبدالله الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (مَنْ سرَّه أن ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظرْ إلى الحسن)[1]. وهذا فيه حثٌّ على رؤية الحسن بإعجاب؛ لكونه سيد شباب أهل الجنة، وهو حث على أن يكون المسلمون معه في مواقفه التي سيتخذها في المستقبل، وأن يعتقدوا صوابية وحكمة تلك المواقف.

8 - وعن زيد بن أرقم، أن الحسن خرج وعليه بردة له، والنبي صلى الله عليه وآله يخطب، فعثر الحسن، فسقط، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر، وابتدر الناس، فحملوه إليه، وتلقاه صلى الله عليه وآله، فحمله، ووضعه في حجره[2]. ونزوله على هذا النحو ليست مجرد استجابة عاطفية لموقف وجداني مؤثر، ولكنه فوق ذلك رسالة هامة بأن تَنْزِلَ الأمةُ لترفع من قدر ابن رسول الله كما نزل نبيّها الكريم صلى الله عليه وآله.

## رابعا: بنوة الحسن والحسين للرسول، وأبوّته لهما

من أعظم مناقب الحسنين عليهما السلام أنّ الله جعلهما ابنين للرسول صلى الله عليه وآله نفسه، وقد دلّت آية المباهلة على بنوّتهما عليهما السلام له صلى الله عليه وآله؛ حيث كان قد وعد أن يدعو أبناءه، ثم جاء بهما، وظاهر الآية أن كلمة الأبناء قد أريد بها المعنى الحقيقي، سواء بالنسبة إلى النبي صلى الله عليه وآله والمسلمين، أو بالنسبة إلى النصارى والكافرين، وقد ورد عنه صلى الله عليه وآله ما يدل على إصراره صلى الله عليه وآله على تركيز قضية بنوة الحسنين عليهما السلام له صلى الله عليه وآله في ضمير الأمة، ووجدانها، بشكلٍ لا يَبْقَى معه أيُّ مجالٍ للشبهة، أو الشك أو التردد، وكنموذج على ذلك نشير إلى:

1 - قوله صلى الله عليه وآله: (هذان ابناي من أحبّهما فقد أحبني)، وفي نص آخر: (هذان ابناي، وابنا بنتي، اللهم إني أحبهما، وأحب من يحبهما)، وفي رواية أخرى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وآله كان يأخذ حسنا، فيضمه إليه، ثم يقول: (اللهم إنّ هذا ابني، وأنا أحبه، فأحبِبْه، وأحِبَّ مَنْ يُحِبُّه).

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص209.
(2) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص7.

2 - كما أنه صلى الله عليه وآله بمجرد ولادة أحدهما كان يقول لأسماء: (هلمي ابني)، أي هاتي ابني.

3 - وقوله: (إن ابني هذا سيد).

4 - كما أنه صلى الله عليه وآله جلس في المسجد، وقال: (ادعوا لي ابني)، فأُتِيَ بالحسن عليه السلام.

5 - وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: (كل ابن آدم ينتسبون إلى عصبة أبيهم، إلا ولد فاطمة فإني أنا أبوهم، وأنا عصبتهم)[1].

## خامسا: احتفاء المسلمين به وبأخيه عليهما السلام

احتفى المسلمون بالإمام الحسن وأخيه الإمام الحسين عليهما السلام احتفاء بالغا، فكان كبار الصحابة يقابلونهما بالتجلة والتكريم، ويتسابقون إلى القيام بخدمتهما، فهذا عبدالله بن عباس حبر الأمة كان إذا ركب الحسن والحسين عليهما السلام بادر فأمسك لهما الركاب، وسوّى عليهما الثياب، ولما استنكر منه ذلك مولاه مدرك نهره ابن عباس، وقال له: «يا لكع أو تدري مَنْ هذان؟ هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله، أوليس مما أنعم الله به عليَّ أن أمسك لهما الركاب، وأسوّي عليهما الثياب...»[2].

وبلغ من تعظيم المسلمين وتكريمهم لهما أنهما كانا يفدان إلى بيت الله الحرام ماشيين، فما اجتازا على رَكْبٍ إلا ترجّل ذلك الركبُ إجلالاً وإكبارًا لهما، وإذا طافا بالبيت الحرام بلغ زحام الناس عليهما مبلغا لم يشاهَدْ نظيرُه لأجل السلام عليهما، والتبرك بزيارتهما[3]، كل ذلك كان يحدث في ظل محاولات معاوية والدولة الأموية تحقيرَ شأنهما، وحجب الأضواء عنهما، وقد مرَّ لنا شيء من نصوص ومواقف ذلك التعظيم، وما سيأتي أن عمر بن الخطاب فرض لهما في العطاء كأهل بدر، ممَّا يشير إلى أن سلطة السقيفة لم تستطع تجاوز مسألة فضلهما، بل وأرادت من خلالهما أن تعالج الصورة المهزوزة لها بإعطاء بعض الامتيازات الخاصة لهما.

ولما توفي الإمام الحسن عليه السلام كان تشييع جنازته، والحضور الكثيف للرجال والنساء والأطفال معبرًا عن حب الأمة الكبير لابن رسول الله وابن وصيه، ومع

(1) ينظر تخريج هذه الروايات في: العاملي: الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام، ص47 - 48.
(2) المحلي: الحدائق الوردية، ج1، ص154.
(3) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ص94؛ نقلا عن البداية والنهاية، ج8، ص37.

ذلك فكان ينبغي أن تتجاوز هذا الحب والتعظيم في مساره العاطفي والوجداني إلى اتخاذ مواقف وقرارات تنسجم مع هذا الحب في صورة الاتباع، وأن تقدِّرَ هذا الإمام وأخاه حق قدرهما، كما أمر الله بذلك ورسوله الكريم صلى الله عليه وآله.

## 5 - الحسن والرزية ثم الفاجعة الكبرى

عاش الحسن مع جده صلى الله عليه وآله تسع سنوات تقريبا، توسَّعت فيها مداركه، ونمت ملكاته، وتلقّى تعليمه وهداياته، وكان يستقبل الحياة كلّ يوم بثغر باسم، وبهناء وسعادة، ويرى من جده صلى الله عليه وآله الحنان والعطف، ومن مشيخة المهاجرين والأنصار التعظيم والتكريم، وقد رأى عليه السلام ما مُنِحَ به الإسلام من انتصارات حتى دخل الناس في دين الله أفواجا، وقد تحطّمت عروش الشرك، واندحرت قوى الإلحاد، ودخل الإسلام إلى مكة، وانتشر الإسلامُ في كل قبائل العرب، وفرِح المسلمون بنصر الله، وكان أكثرهم فرحا وأعظمهم سرورا بهذه الانتصارات التي حققها الإسلام أهل البيت سلام الله عليهم.

ولكن لم تدم لهم تلك الحالة الهانئة، فسرعان ما عبس الزمن في وجوه الحسن وأهل بيته، وأمضّ قلوبهم بحزن طويل؛ فقد آن للرسول صلى الله عليه وآله أن يفد على الله، وقد بدت له طلائعُ الرحيل، وأماراتُ الانتقال، فأشعرهم بذلك في محطّات عديدة، وكان يقول لهم: (يوشَك أن أُدْعَى فأجيب)، وفي حجة الوداع قال لهم: (لعلِّي لا ألقاكم بعد عامي هذا).

وكان صلى الله عليه وآله بهذه الإشعارات يخبر المسلمين أن يُصْغُوا لكلِّ ما سيقوله لهم من توصياتٍ هامة، تُعْتَبرُ خارطة طريقٍ لمستقبلهم بعد موته صلى الله عليه وآله، وهو الذي كان يهمُّه أمر صلاحهم، وعدم ضلالهم، وبقاء الإسلام بحيويته فيهم؛ لذلك أكثر من الإيصاء بالثقلين (القرآن والعترة)، وأعلن منصرفَه من حجة الوداع في غدير خم مبدأ الولاية لله ولرسوله والمؤمنين وفي مقدمتهم الإمام علي عليه السلام، باعتبار الولايةِ المبدأ الحيوي، الذي لن يكون لمبادئ الإسلام وقيمه وتعليماته أثرٌ فاعلٌ إلا بها.

وفهم المسلمون حينذاك مراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وآله، وأقبل المسلمون يبايعونه ويهنّئونه بإمرة المؤمنين، وممّن هنّأه عمر بن الخطاب، فقد صافحه، وقال له: «هنيئًا يا ابنَ أبي طالب، أصبَحْتَ وأمسيْتَ مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، ...»[1].

إنّ بيعة الغدير من أوثق الأدلة وأكثرها وضوحا على اختصاص الخلافة والإمامة بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد احتجَّ بها الإمام الحسن على أحقية أبيه بالخلافة والولاية، وذلك في خطابه الذي ألقاه بعد موادعته لمعاوية؛ حيث جاء فيه: «إنا أهلَ بيتٍ أكرمنا الله بالإسلام، واختارنا واصطفانا، وأذهب عنا الرجس، وطهّرنا تطهيرا)، إلى أن قال: (وقد سمِعَتْ هذه الأمةُ جدّي يقول: (ما ولّت أمةٌ أمرها رجلا، وفيهم مَنْ هو أعلم منه إلا لم يزل يذهب أمرهم سفالا حتى يرجعوا إلى ما تركوه)، وسمعوه يقول لأبي: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي)، وقد رأوه وسمعوه حين أخذ بيد أبي بغدير خم، وقال لهم: (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم والِ مَنْ والاه، وعادِ مَنْ عاداه)، ثم أمرهم أن يبلِّغ الشاهدُ الغائبَ»[2].

ومن حكمة الله وعدله أنه إذا أراد لعباده أن يعملوا عملا هيَّأ لهم أسبابَه، ونزع عنهم العوائق التي تعيق وصولهم إليه، فإذا خالفوا بعد ذلك كانت الحجة عليهم ألزم، والمسؤولية عليهم أكبر، ومن هنا فإن الرسول صلى الله عليه وآله بعد أن علم أنَّ لقاء الله قريب، أراد أن يعزّز القبول بولاية أمير المؤمنين عليه السلام بإزاحة الجهات ومراكز القوى المؤثرة سلبا عليها، فأمر بإنفاذ جيش أسامة بن زيد في حرب الروم، وجعل كبار القوم الذين يُظَنُّ منهم الشَّغَبُ والتمرُّدُ في جملتهم؛ ليخلي عاصمته من جميع المناوئين المحتمَلين للإمام علي عليه السلام، فأرسلهم إلى ساحة الجهاد مع أسامة، وفي مقدمتهم أبو بكر، وعمر، وأمّر عليهم أسامة بن زيد، وكان أصغرهم سنا، ليمرِّنهم على قبول ولاية من هو أصغرُ منهم سنا، ولمّا رأى منهم التخاذل، والتكاسل عن الخروج، لَعَنَ مَنْ تخلف منهم عن جيش أسامة، ولكن القوم لم تحركهم هذه الأوامر النبوية المشدّدة،

(1) ابن حنبل: المسند، ج4، ص281، رقم18502.
(2) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص102 - 103، نقلا عن الأميني: الغدير، ومصادره، ج1، ص192.

ولم يرهف عزائمهم هذا الاهتمامُ البالغُ من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو في ساعاته الأخيرة، فتثاقلوا عن الخروج، وتخلفوا عن الجيش، وكان تخلفهم، وطعنهم في تأمير أسامة، وتخلفهم عن الخروج، مقصودا به التمرد المبيّت، والظفر بالسلطة والحكم.

كل ذلك والحسن يرقب وضع أمة جده، ويعيش المشهد في قلبه، ثم يرى جده صلى الله عليه وآله وسلم وكأنه قد استشف من نافذة الغيب أنّ أمته ستنصبُّ عليها الفتن كقطع الليل المظلم، وتتوالى عليها الخطوب السود، فأمر، وهو على فراش المرض، بأن يُؤْتَى بالكتف والدواة، ليكتب لهم كتابا لن يضلوا من بعده أبدا، ويبرهن أنه صلى الله عليه وآله وسلم حتى وهو في آخر لحظات عمره كان يهمه أن لا تضل أمته عن الطريق التي رسمها لهم، لكنّ فريقا من أصحابه قالوا عنه بأنه يهجر، فبيّنوا أمام ناظري الحسن عليه السلام أنهم لم يهمهم أن يتهموا رسول الله بما هو مخالف للقرآن، ولا أن تضل الأمة من بعد جده صلى الله عليه وآله وسلم، ولم يكونوا مبالين بما سيوقعون الأمة فيه من فتن وضلال، فكانت الرزية التي ما وراءها رزية في ذلك الخميس المظلم.

ثم لمّا أوشك رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أهله وأمته، وعلم أهل بيته بذلك، أذهلهم الخطب، وبرّح بهم الحزن، وكان أكثر شخصين سيفتقدان رسول الله، ويفتقدهما رسول الله، هما الحسن والحسين، فما كان منه صلى الله عليه وآله وسلم إلا أن أمر بدعوتهما للحضور إليه، روى الإمام الأعظم زيد بن علي، عن أبيه، عن جده، عن علي عليه السلام قال: «لمَّا ثقُل رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه، والبيتُ غاصٌّ بمَنْ فيه، قال: (ادعوا لي الحسن والحسين)، فدعوتُهما، فجعل يلْثَمُهما حتى أُغْمِيَ عليه، فجعلت أرفعهما عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ففتح عينيه فقال: (دعْهما يتمتَّعان مني، وأتمتَّع منهما؛ فإنه سيصيبُهما بعدي أثرةٌ)، ثم قال: (يا أيها الناسُ إني خلَّفْتُ فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي أهل بيتي، فالمضيِّعُ لكتاب الله كالمضيِّع لسنتي، والمضيِّعُ لسنتي كالمضيِّع لعترتي، أما إنّ ذلك لن يفترقا حتى ألقاه على الحوض)»[1].

(1) الإمام زيد: المجموع الفقهي والحديثي، ص404.

ثم أسلم الرسولُ صلى الله عليه وآله روحه لبارئها، فخيَّم على المسلمين ليلٌ كثيفٌ من الحزن والأسى، والتاع الصبيّان الحسن والحسن لوعة شديدة، وقد غاب أبوهما، ومؤنسهما، وحبيب قلبيهما، وأستاذهما، في وقتٍ كشّرت الدنيا أنيابها في وجهيهما، ووجوه أهلهما.

ثم حدث أن حضر الحسن عليه السلام دَفْنَ جده، فألقى المغيرة بن شعبة الثقفي خاتمه في القبر، وقال لأمير المؤمنين علي عليه السلام: خاتمي، وكان يريد أن يدخل القبر الشريف، بعد ما خرج الإمامُ عليٌّ، فيكون له مفخرة، بأنه آخر الناس عهدا برسول الله، فأدرك الإمام عليه السلام مقصده، فأمر ابنه الحسن بدخول القبر، وأخرج خاتمَ المغيرة منه، وظفر هو بذلك الشرف، فكان آخر الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وآله[1].

ولا شك أن هذا الحدث قد أمضّ قلبَ الإمام الحسن عليه السلام، وهو في سنه المبكر، فذبلت منه نضارة الصبا، وقد رأى من كان يحدب عليه، ويفيض عليه من رقيق حنانه، يوارَى في الثرى، ورأى أبويه، وقد أضناهما الذهول، وأحاط بهما الأسى على فقد راحلهم العظيم، لقد مضى الرسول صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى، وكان عُمْرُ الحسن سَبْعَ سنين، وهو دورٌ تنمو فيه مداركُ الطفولة، وتكون فيه فكرة الطفل كالعَدَسَةِ اللاقطة تنقل إلى دخائل النفس كثيرًا من المشاهدات والصور، وينطبع فيها جميع ما يمر عليها من حزن وسعادة[2].

وهكذا يتبين كيف قضى الحسن عليه السلام سنيه السبع الأولى في بحبوحة حنان والده وجده، ويتعلم منهما ما يفيضه الملأ الأعلى عليهما، علما، وشجاعة، وفصاحة، وآدابا، ومواقف، لولا الأيام السود الأخيرة في آخر هذه المرحلة التي كدّرت صفو ذلك الغلام، ولمّحت إليه أنَّ الشرف الرفيع لا يمكن أن يسلم من الأذى، وأنّ عليه أن يوطّن نفسه للأيام الكالحة المقبلة، وفي هذا ما فيه من دروس لنا نحن الذين لا نبلغ شيئا من شرف وفضل هذا الإمام وأهل بيته، بأن نُعِدّ أنفسنا للحادثات ولو أمضّت، وأن نلبس لمتغيراتها الجلابيب الواقية من الانحراف والطمع والأهواء وإن تعاظمت، وأن يكون رضا الله رب العالمين هو غاية أملنا، ومبلغ علمنا، وأكبر همنا.

(1) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج2، ص302.
(2) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص122.

# المبحث الثاني: الحسن عليه السلام في عهد المشايخ الثلاثة

## 1 - الانحرافة الأولى

لما مضى النبي صلى الله عليه وآله إلى ربه، انثالت الفتن على المسلمين تترى كقطع الليل المظلم، وعصفت بهم أمواج عارمة من الانشقاق والاختلاف زعزعت كيانهم، وصدّعت شملهم، ووقعت رزية الانقلاب الذي أشار إليه القرآن الكريم: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: 144]، فترك القومُ جثمانَ نبيهم، لم يواروه في مقره الأخير، وتهالكوا على الإمرة والسلطان، وصمّموا على صرف الولاية عن أهل بيت النبوة، وموضع الرسالة، ومختلف الملائكة، ومهبط الوحي والتنزيل.

وكان لذلك الانحراف المبكر عن خط الرسالة مضاعفاتٌ سيئة، وسبب لانحرافات أخرى، كمنع الزهراء حقها في فدك[1]، ومنع أهل البيت خمسهم، والأهم من ذلك أنه جرّأ وأطمع الطلقاء وأبناءهم من خصوم الإسلام في الولاية العامة، وفتح الباب أمامهم على مصراعيه للوصول إليها، حتى نزوا على حكم المسلمين، واستأثروا عليهم فيه فيما بعد.

لقد قوبل هذا الانحراف وما نتج عنه باستنكار أهل البيت عليهم السلام، وأولهم الإمام علي، والزهراء، سلام الله عليهما، وكذلك فعل الحسن عليه السلام على صغر سنه، فقد انطلق إلى مسجد جده صلى الله عليه وآله فرأى أبا بكر على منبر المسجد يخطب الناس فقال له: (انزل عن منبر أبي)، فأجابه أبو بكر: صدَقْتَ، والله، إنه لمنبر أبيك، لا منبر أبي[2].

(1) فدك: قرية شمال المدينة بالقرب من خيبر.

(2) العاملي: الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام، ص113، وفي هامشه تخريج واسع لمن روى هذه الحادثة.

وفي هذا دلالة على أن أطفال آل محمد كانوا يعرفون الولاية، ويتمُّ تلقينهم أمرها، وشأنها؛ الأمر الذي يحتّم علينا الاهتمامُ بأطفالنا وتثقيفهم أساسيات وعقائد الإسلام، ولا سيما حين تتسيد الثقافات المناوئة لثقافة أهل البيت. وقد كان من الطبيعي أن يدرك عليه السلام على صغر سنه خطورة مخالفة الولاية التي بلَّغها جده صلى الله عليه وآله، وأنّ عليه مسؤولية العمل على إبقاء حق أهل البيت وقضيتهم على حيويتها في ضمير ووجدان الأمة.

هذا الدور الذي قام به الحسن عليه السلام في طفولته قام به أيضا آخرون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، ومنهم سلمان الفارسي، وعمار بن ياسر، وخزيمة بن ثابت، وأبو الهيثم بن التيهان، وسهل بن حنيف، وعثمان بن حنيف، وأبو أيوب الأنصاري، وعتبة بن أبي لهب، وغيرهم.

## 2 - نكبة أمِّه الصديقة وموتها

ثم رأى الحسن ما عانته أمُّه من حرمانها فدكا والعوالي، ورآها وهي تثور في وجه السلطة الجديدة، فتخطب فيهم موبّخة لهم بعظيم ما ارتكبوا من مخالفاتٍ اعتبرتها ضلالات خطيرة، وشرورا مستطيرة، ورآها وهي تدور في بيوت الأنصار تحثهم على استعادة ولاية من ولاه الله، وهو زوجها الإمام، ورآها وهي تكابد الحزن الكبير، والأسى العميق، نتيجة ما حلّ بأمة أبيها صلى الله عليه وآله من أخطاء واختلافات، ورآها وهي تَغْضَبُ على الخليفة الأول، ولا ترضى، حتى تغادر الحياة، وهي غضبى، فينظر إلى كل هذا الذي حلّ بأمه الرؤوم[1]، فينصدع قلبه، ويذرف من الدموع ما أسعفته الجفون، ثم رآها وقد أحاطت بها العلل والأمراض، وعادتها نساء المسلمين، فيقلن لها: (كيف أصبَحْتِ من علتك يا بنت رسول الله)، فترمقهن بطرفها، وتعرب لهن عما تكنه في نفسها من الأسى، بأنها باتت عائفة لدنياهم، قالية لرجالهم، ثم تموت، ويرى أباه يودعها ذلك الوداع المُمِضّ، والمؤلم، وقد أوصته أن يصلي عليها،

(1) رئمت المرأةُ ولدَها، فهي رؤوم: إذا أحبّته وعطفت عَلَيْهِ وَلَزِمته.

ويواري جثمانها في غلس الليل البهيم، وأن لا يصلي عليها، ولا يقوم على قبرها أحد من الذين ظلموها، وجحدوا حقها؛ لأنهم أعداؤها، وأعداء أبيها على حد تعبيرها.

ثم سمع الحسن مناجاة أبيه عليهما السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله بعد دفن أمه الزهراء عليها السلام، وهو يقول: (السلام عليك يا رسول الله عني وعن ابنتك النازلة في جوارك، والسريعة اللحاق بك، ...)[1]، ولا بد أن تلم به حينئذ آلامٌ مبرّحة، ويحف به حزن عميق، ويتضاعف حزنه وشجاه، حينما يرى أعز ما في الحياة عنده تغادر الحياة، وتُحْمَلُ في غلس الليل البهيم، ولم يحضر أحد من المسلمين تشييعها عدا نفر قليل، وهي بَضْعَة النبي صلى الله عليه وآله وريحانته، ووديعته في أمته، وقد ذاق من هذه الكوارث وهو في دوره الباكر، وصار قلبه موطنا للهموم، ومركزا للأحزان والشجون[2]، ولولا ما يعلم بما أعده الله لأهل هذا البيت من كريم الثواب، وعظيم المآب، لما ابتسم يوما لهذه الحياة.

## 3 - إقصاء وتهميش دور والده الإمام عليه السلام

لقد تم تغييب الإمام علي عليه السلام في عهد المشايخ الثلاثة، وتم تغييب الحق والقرآن معه، ولم يشترك في شأنٍ من شؤون القوم، إلا بقدر ضئيل مما كان فيه مصلحة للإسلام، وحفظٌ لبيضة الدين، وإزهاق للباطل، فلم يكن الإمام عليه السلام يتردد في القيام به، وقد كان يدلي بفتاواه الشهيرة، حين يعجز القوم عن الإجابة فيها، وكان يشير عليهم ما كانت المشورة فيها الخير لعموم المسلمين، والرفع لشأن الإسلام، ولم يَضَنَّ على القوم بعلومه ومعارفه؛ لئلا تُهْمَلَ أحكام الله، وتتعطّل حدوده.

ومع الدور العام الذي كان يقوم به أهل البيت عليهم السلام، وأولهم الإمام علي عليه السلام، إلا أن ظروف وقرارات السلطة الجديدة، وثقافة رجالها، وانتماءاتهم، كانت تفرض العزلة على أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله، وتهميش دورهم، واستغلت السلطة

(1) نهج البلاغة، ج2، ص207 - 208.
(2) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص168 - 169.

القرشية الجديدة اسم رسول الله صلى الله عليه وآله للسيطرة باسمه على جميع مقاليد الأمور، ولمّا أقبلت الدنيا والغنائم مع حركة الفتوحات على المسلمين في عصرهم، نسبوا تلك الإنجازات إلى سلطتهم الجديدة، وهذا ما أنتج واقعا تم فيه التلميع لشخصيات من السلطة والمقرّبين منها، وتهميش أهل البيت ومن يلوذ بهم، رغم ما قدّمه الكثير منهم في تلك الحركة من أدوارٍ معروفة، وإنجازات مشهودة، وهذا الرخاء الذي حصل عليه المسلمون في عهد المشايخ أضفى عليهم هالة من القداسة والمحبة، وتناست قريشٌ حينئذ أحقادها على الإسلام، فباتت تتحدث باسمه، وتتحرك تحت لوائه، من غير انصهار كامل منهم في تعاليمه، وتوجيهاته، وهذا ما أوضحه الإمام عليه السلام في إحدى كلماته[1].

## 4 - ترويج السلطة الجديدة لنفسها بإجلال الحسن والحسين عليهما السلام

في ظل هذه الأجواء، ولا سيما في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب كان الإمام الحسن عليه السلام قد قطع دور الصبا حتى أشرف على ميعة الشباب، وقد اقتضت سياسة عمر أن يُجِلَّ السِّبطَين الحسن والحسين، ويجعل لهما نصيبا فيما يغتنمه المسلمون، ولمّا دوّن الدواوين، وفرض العطاء، ألحقهما بفريضة أبيهما مع أهل بدر؛ لقرابتهما من رسول الله صلى الله عليه وآله، ففرض لكلٍّ واحد منهما خمسة آلاف درهم[2].

وهكذا يتضح أنه مع سياسة السلطة الجديدة المتّبعة لاستراتيجية تهميش أهل البيت إلا أنها لم تستطع إلغاءهم تماما من الواقع، بل كانت تبتغي من سياسةِ الاعترافِ بمكانتهم، والإحسان إليهم، الترويجَ لشرعيتها، وإرضاءَ العامة من الناس، ورغم أن سياسة التفضيل في العطاء كانت سياسة خاطئة في نفسها إلا أنها كرّست أمرًا لم يكن الخلفاء ولا أعوانهم قد التفتوا إليه، ولا كان يروق لهم تكريسه، لولا أنهم لم يمكنهم تحاشيه، ولا التخلُّصُ منه، وهو أمر واقعي، كان لا بد من الاحتفاظ

(1) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج20، ص298 - 299.
(2) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص238.

بـه، والالتفـات إليـه بنحـوٍ أو بآخـر، ألا وهـو الاعـتراف الضمنـي بـل الصريـح مـن الهيئـة الحاكمـة، وعـلى رأسـها عمـرُ بـن الخطـاب، الشـخصية القويـة جـدا، وذات النفـوذ العظيـم، إنـه الاعـتراف بفضائـل ومزايـا الحسـنين الزكيـين عليهما السلام، حيـث ألحقهـم عمـرُ بـن الخطـاب بأهـل بـدر، تنبيهـًا عـلى المكانـة الممتـازة، التـي كانـا يتحليـان بهـا[1].

ولله عـز وجـل سـنة في عبـاده، أنـه لا يـترك عبـاده مـن دون أن يقيـم عليهـم الحجـج، ويُظْهِـر مـا قـد يخفيـه المعانـدون، ولهـذا فمـن سـنته أنـه يُخْـرِجُ مـا يكتمـون.

## 5 - الحسن و (الشورى)

وحينـما طُعِـنَ عمـرُ بـن الخطـاب، ورتّـب قضيـة الشـورى عـلى النحـو المعـروف، قـال للمرشَّـحين: «وأحـضروا معكـم مـن شـيوخ الأنصـار، وليـس لهـم مـن أمركـم شيء، وأحـضروا معكـم الحسـن بـن عـلي، وعبداللـه بـن عبـاس، فـإن لهـما قرابـة، وأرجـو لهـم البركـة في حضورهـما، وليـس لهـما مـن أمركـم شيء، ويحـضر ابنـي عبداللـه مستشـارًا، وليـس لـه مـن الأمـر شيء، ...»، فحـضر هـؤلاء[2]، ويبـدو أن هـذه أول مشـاركة سياسـية فعليـة معـترف بهـا للإمـام الحسـن، لا سـيما وقـد بلـغ مبلـغ الرجـال الذيـن يجـب أن يكـون لهـم دورٌ في الأحـداث.

لقـد كان الحَسَـنُ عليه السلام شـاهِدًا عـلى مؤامـرة الشـورى التـي كان واضحـا مـن الوهلـة الأولى أنهـا تصـب في اتجـاه عثـمان، فراعـه مـا رأى مـن انقيـاد القـوم نحـو الأغـراض الشـخصية، والمطامـع، واسـتبان لـه أن القرشـيين يحملـون في نفوسـهم حقـدا وضغنـا عـلى أبيـه، وأن القـوم يسـيرون وراء مصالحهـم وأطماعهـم، ولا شـأن لهـم بالمصلحـة العامـة[3].

(1) العاملي: الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام، ص123.
(2) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ص28.
(3) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص198.

## 6 - في مواجهة الفساد المالي والإداري في عهد عثمان

وفي عهد عثمان كان عُمْرُ الحسن ينيف على عشرين عاما، وهو عمر يسمح لصاحبه أن يخوض معترك الحياة، وكان من الطبيعي أن تثير سياسة الفساد المالي والإداري التي مارسها الخليفة الثالث عثمان بن عفان سخط الأخيار، بل وسخط العامة الذين ينظرون إلى بني أمية نظرة ريبة وشك في إسلامهم، وكذلك في استئثارهم بالأموال، وإقطاع عثمان لهم القطائع الواسعة، ورأوا في ذلك انحرافا واضحا عن منهج الله، وعن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل وحتى عن سيرة الشيخين أبي بكر وعمر، فشاع التذمّر بين المسلمين جراء هذه السياسية المنحرفة، ونقم المسلمون على عثمان ما أحدثه من أحداث، حتى انفجر الموقف، واشتعلت الثورة التي انتهت بمقتله.

وفي خضم الانتقادات والنصائح التي وجَّهها الصحابةُ لسياسة عثمان، والفسادِ المالي والإداري المستشري في دولته، ثم تنكيله بالمصلحين والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، كابن مسعود، وعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، كان للإمام الحسن دورٌ في تأييد حركة الإصلاح والنصح، من خلال موقفه الداعم لتحرك أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، مع أبيه وقومه.

لقد قرر عثمان التنكيل بأبي ذر الغفاري ونفيه أخيرا إلى الربذة[1]؛ ليغيب صوت الحق الذي أعلنه، في المدينة، والشام، وأوعز إلى مروان بن الحكم بإخراجه فورا من المدينة، وهو مهان الجانب، وحرّم على المسلمين أن يخرجوا لتوديعه، ولكن أهل الحق أبوا إلا مخالفة عثمان، فقد خفَّ الإمامُ أميرُ المؤمنين لتوديعه، ومعه عقيل، وعبدالله بن جعفر، والحسنُ، والحسينُ، وبادر مروان إلى الحسن، فقال له: «إيه يا حسن!! ألا تعلم أن عثمان قد نهى عن كلام هذا الرجل؟ فإن كنْتَ لا تعلم فاعلم ذلك...»، فحمل أمير المؤمنين علي عليه السلام على مروان، وضرب أذني راحلته بالسوط، وصاح به: (تنحّ نحّاك الله إلى النار)، وولى مروان منهزما إلى عثمان يخبره بالحال.

(1) الربذة: بلدة في قلب نجد وهي من منازل الحجاج بين العراق ومكة.

ثم قال له الإمام علي عليه السلام: (يا أبا ذر، إنك غضِبْتَ لله، فارجُ مَنْ غضِبْتَ له، إنَّ القومَ خافوك على دنياهم، وخِفْتَهم على دينك، فاترك في أيديهم ما خافوك عليه، واهرب بما خِفْتَهم عليه، فما أحوجَهم إلى ما منعْتَهم، وما أغناك عمّا منعوك، وستعلمُ مَنِ الرابحُ غدا، والأكثرُ حسدا، ولو أنّ السماوات والأرض كانتا على عبدٍ رتقًا، ثم اتقى الله، لجعل الله منهما مخرجا، لا يؤنسنّك إلا الحق، ولا يُوحِشَنَّك إلا الباطلُ، فلو قبِلْتَ دنياهم لأحبُّوك، ولو قرَضْتَ منها لأمّنوك...).

ثم بادر الحسن عليه السلام إلى أبي ذر فصافحه، وودّعه، وألقى عليه كلمات تنم عن قلب موجَعٍ بهذا الفراق قائلا: (يا عماه، لولا أنه لا ينبغي للمودِّع أن يسكت، وللمشيِّع أن ينصرف، لقصر الكلام، وإن طال الأسف، وقد أتى القومُ إليك ما ترى، فضَعْ عنك الدنيا بتذكُّرِ فراغها، وشدةِ ما اشتدَّ منها، برجاء ما بعدها، واصبرْ حتى تلقى نبيَّك، وهو عنك راض)[1].

لقد ذكَّرَه الإمام الحسن عليه السلام بأهمية الصبر، وأن يتذكّر فراغ هذه الدنيا، ويرجو فيما بعدها، وأن يتذكر أهمية أنْ يَقْدُمَ على رسول الله صلى الله عليه وآله راضيا عنه، لم يبدِّلْ ولم يُغَيِّرْ[2]. وتلك الكلمات التي تحمل من الوعي والتوعية ما تساعد أبا ذر على الاستمرار في موقفه السليم والمبدئي، وأن يشعر أن حركته الإصلاحية لم تمت، وهناك من يحملها، ويستمر فيها.

(1) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج8، ص253 - 254.
(2) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص260 - 262.

# المبحث الثالث: أخلاقه وصفاته وحياته الشخصية

## 1 - أخلاقه وصفاته

تتبين أخلاقه وصفاته عليه السلام من خلال عدد من النقاط التالية:

**1 - لقد نحله رسول الله هيبة وسؤددًا وحلما وحياءً:** فقد جاءت الزهراء سلام الله عليها تحمله إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالت: يا رسول الله، انْحَلْ ابني، فقال: (قد نحلته المهابة والحياء)[1]، وفي رواية البلاذري: (قد نحَلْتُ الحسنَ الحلمَ والحياءَ)، وفي رواية أخرى أنه قال: (له هيبتي وسؤددي)[2]. وهي صفات ومزايا تؤهل صاحبها لأن يكون صاحب أخلاق راقية، ونفس زاكية.

لقد كانت شخصيته تملأ العيون، وتهيمن على النفوس؛ لأنه قد التقت بها عناصر النبوة والإمامة، وتمثَّلتْ فيها هيبة النبي مع هيبة الوصي، وقد حدَّث واصل بن عطاء، قال: «كانت على الحسن سيماءُ الأنبياء وبهاءُ الملوك». وقال ابن الزبير: «والله ما قامت النساء عن مثل الحسن بن علي في هيبته، وسمو منزلته».

وبلغ من عظيم هيبته أنه ما اجتاز مع أخيه على رَكْبٍ في حالِ سَفَرِهما إلى بيت الله الحرام ماشيَيْن إلا ترجّل ذلك الركبُ تعظيمًا وإكبارًا لهما، ورأى هيبة الإمام ووقارَه بعضُ الأغبياء من الحاقدين عليه فقال له: إن فيك عَظَمَة، فأجابه الإمام: (إنّ فيّ عزة)، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:8]، إن الحسن كان يحكي جدّه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في هيبته وسؤدده وكريم طباعه[3].

(1) المحلي: الحدائق الوردية، ج1، ص151.
(2) الهاروني: الإفادة، ص32؛ والإمام عبدالله بن حمزة: الشافي، ج1، ص504.
(3) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام،ج1، ص309 - 310.

2 - **المواهب الفطرية والاكتسابية:** ممَّا فطر اللهُ الإنسانَ عليه أن أعطاه مواهب وسجايا فطرية، وجعلها قابلة للنمو، والتوسع، والازدياد، ومن ذلك الذكاء والعبقرية، فقد يهب الله لأحدٍ من عباده ما يشاء من ذكاءٍ خارقٍ، وفهمٍ ثاقبٍ، وعبقرية فذّة، فإذا تيسَّر له أن عاش في بيئة تستثمر في هذه المواهب، وتنمّيها، وتساعد على توجيهها، وتألُّقها، ازداد ذكاءً وعبقرية، «وطفولة الإمام الحسن عليه السلام قد التقت بها جميع هذه العناصر الحيّة؛ فالرسول صلى الله عليه وآله تولّى تربية سبطه، وأفاض عليه بمكرمات نفسه، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام غذّاه بحِكَمِه ومُثُله، والعذراء القدّيسة أفضلُ بناتِ حوّاء قد غَرَسَتْ في نفس وليدها الفضيلة والكمال، وبذلك سمَتْ طفولته، فكانت مثالا للتكامل الإنساني، وعنوانا للسمو والتهذيب، ورمزًا للذكاء والعبقرية»[1].

وقد قال أحد المحققين: «أضف إلى ذلك ما لصحبة العظماء من الأثر الروحي على الإنسان، فمن عايش كبيرا، وصاحَب عظيما، فسيشرق عليه من نوره، ويلفح عليه من عطره المعنوي ما تَغْنَى به نفسه، وتسمو به ذاته،... وقد ألْمَحَتْ الأحاديث الكثيرة الواردة في العِشرة واختيار الصديق إلى المعنى، وأشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى صحبته لرسول الله صلى الله عليه وآله في خطبته القاصعة، فقال: (ولقد كنت أتبَعُه اتِّبَاعَ الفصيلِ أَثَرَ أمِّه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علمًا، ويأمرني بالاقتداء به ... الخ)»[2]. واتباع التلميذ لمعلمه أنفع طرق التعلم وأجداها، كما أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، وكما ألمح إليه موسى عليه السلام في قوله لمن آتاه الله علما: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾ [الكهف: 66].

«وكان الحسن في صِغره لا يمُرُّ عليه شيءٌ إلا حفظه، وكان يحضر مجلس جده صلى الله عليه وآله، فيحفظ الوحي، فينطلق إلى أمه، فيلقيه عليها، فتحدِّثُ به أمير المؤمنين عليه السلام، فيقول لها: (من أين لكِ هذا؟)، فتقول: (من ولدك الحسن)»[3].

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ص59.

(2) العاملي: الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام، ص11 - 12، نقلا عن المحقق العلامة الأحمدي.

(3) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ص61.

3 - وبناء على ذكائه وعبقريته بالفطرة وبالاكتساب فإننا نجد له إنجازات كثيرة استطاع أن يبرهن ويثبت أنه **صاحب حكمة وسداد، ودهاء وذكاء**، ومنها تصدِّيه لمكايد معاوية، وفضحُه إياها في مواطن عديدة؛ وقد قال معاوية يوما في مجلسه: إذا لم يكن الهاشميُّ سخيًّا لم يُشْبِهْ حَسَبَه، وإذا لم يكن الزبيريُّ شجاعًا لم يشبه حسبه، وإذا لم يكن المخزومي تائها لم يشبه حسبه، وإذا لم يكن الأموي حليما لم يشبه حسبه، فبلغ ذلك الإمام الحسن عليه السلام، فأدرك مرامي معاوية الخبيثة، فقال: (والله ما أراد الحق، ولكنه أراد أن يُغْري بني هاشم بالسخاء، فيُفْنوا أموالهم، ويحتاجوا إليه، ويُغْري آلَ الزبير بالشجاعة، فيَفْنوا بالقتل، ويُغْرِي بني مخزوم بالتيه، فيبغضهم الناس، ويغري بني أمية بالحلم، فيحبهم الناس)[1]، وغير ذلك من المقامات والحوادث الكثيرة.

4 - **معرفته العظيمة لله، وثقته العالية به**، وتتجلّى من خلال ما يُرْوَى عنه مِن وصفه لله تعالى في مناظرته لأحد زعماء الخوارج، وهو نافع بن الأزرق، لمّا قال له: (يا ابن الأزرق، أصِفُ إلهي بما وصف به نفْسَه، وأعرِفُه بما عرَّف به نفسَه: لا يُدْرَكُ بالحواس، ولا يُقَاسُ بالناس، فهو قريبٌ غيرُ ملتصق، وبعيدٌ غير منتقص، يُوَحَّد ولا يُبَعَّض، معروفٌ بالآيات، موصوفٌ بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال)[2].

وتتضح معرفته بالله من شدة حيائه من الله، وكثرة حجه إلى بيته، وهو الذي قال: (إني أستحي من ربي عز وجل أن ألقاه، ولم أمش إلى بيته)، وقد حجَّ خمسا وعشرين حجة ماشيا، وإن النجائب لتقاد معه لا يركب عليها، وكان لا يأوي إلى فراشه بالليل حتى يؤتَى بلوحٍ فيه سُورَةُ الكهف، فيقرؤها[3]. كما يتضح انشداده إلى الله في جهاده وإخلاصه لله، وفي خوفه وخشيته منه سبحانه وتعالى، فقد كان يبكي خوفا من الله تعالى[4].

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص258 - 259.
(2) المحلي: الحدائق الوردية، ج1، ص154.
(3) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص242 - 344؛ والبلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص9.
(4) المحلي: الحدائق الوردية، ج1، ص183.

5 - **عبادته:** وكانت عبادته لله إحدى مظاهر انشداده إلى الله، وكان يعبد الله عبادة المتحرك المجاهد في الميدان، الذي امتلأ قلبه بالاحتياج إلى الله، وامتلأت ذهنيته بالتعظيم له، وقد نقل المؤرخون بعض صور تلك العبادة، ومواظبته على الواجبات والنوافل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله[1]، ومنها أنه:

-إذا فرغ من الوضوء وأراد الدخول إلى المسجد رفع صوته قائلا: (إلهي ضيفك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، فتجاوزْ عن قبيحِ ما عندي، بجميلِ ما عندك يا كريم).

-وكان إذا أقبل على صلاته بدا عليه الخضوعُ والخشوع، وإذا فرغ من صلاة الفجر لا يتكلَّم إلا بذكر الله حتى تَطْلُعَ الشمسُ[2].

6 - **علمه:** وحسبك أنه تتلمذ على جده الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، مدينة العلم، وعلى والده الإمام علي، باب مدينة العلم، وجعله الله سيِّدًا لشباب أهل الجنة، والسيادة تقتضي من صاحبها أن يكون أعلم الشباب بالله وبما تحتاج إليه الأمة، وكلماتُه ووصاياه وشهاداتُ الآخرين من أوليائه وأعدائه تبيّن أيَّ منزلة عظيمة تبوَّأها في العلم والمعرفة، وقد أوصى أولادَه بطلب العلم قائلا: (تعلّموا العلم، فإنكم صغار القوم اليوم، وكبارهم غدا، ومن لم يحفظ منكم فليكتب)، وقال: (حسن السؤال نصف العلم)، وكلماته الذهبية في الحكم والسياسة والاجتماع والاقتصاد تدل على أعلميته الفذَّة.

ولما سأل سائل عبدالله بن عمر بن الخطاب، أعطاه سبعة دراهم، وكان الحسن والحسين عليهما السلام قد أغدقا عليه الأموالَ الكثيرة، فأخبره بذلك، فقال ابن عمر معترفا بفضل علمهما قائلا: «ويحك أنّي تجعلني مثلهما!!، إنهما غرَّا العلم، وغرّا المال»[3].

7 - **شجاعته:** وكل حياته كانت جهادًا وتضحية ومواقفَ قوية تنبئ عن شجاعته، ومن ذلك أنه لـمَّا التقى جيش والده الإمام علي عليه السلام بجيش معاوية في صفين،

(1) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص21.
(2) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص303 - 304، نقلا عن مصادره.
(3) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص302، نقلا عن عيون الأخبار لابن قتيبة 3/ 140.

بـادر الحسـن عليه السلام ليحمـل عـلى صفـوف أهـل الشـام، وتـسرّع لخـوض غـمار الحـرب، فلـما بَـصُرَ بـه الإمـامُ قـال لمَـنْ حولـه: (امْلكـوا عنّـي هـذا الغـلامَ، لا يَهُـدّني، فإنني أنفَـسُ بهذيـن - يعنـي الحسـن والحسـين - عـلى المـوت؛ لئـلا ينقطـعَ بهـما نسـلُ رسـول اللـه)[1].

8 - **صـبره وحلمـه:** وهـذا أمـر اشـتهر بـه عليه السلام؛ فقـد حـدّث رجـل مـن أهـل الشـام، قـال: قَدِمْـتُ المدينـة فرأيْـتُ رجـلا بَهَـرَني جمالُـه، فقلـت: مـن هـذا؟، فقالـوا: الحسـن بـن عـلي، قـال: فحسَـدْتُ عليـا أن يكـون لـه ابـنٌ مثلُـه، قـال: فأتيْتُـه، فقلـتُ: أنـت ابـنُ أبي طالـب؟، قـال: (إني ابنُـه)، قـال: فقلـتُ لـه: بـك وبأبيـك، وبـك وبأبيـك[2]، قـال: وأزمّ[3] لا يـردُّ إليّ شـيئا، ثـم قـال: أراك غريبـا، فلـو اسـتحمَلْتَنا حمَلْنـاك، وإن اسـترفدْتَنا رفدْنـاك، وإن اسـتَعَنْتَ بنـا أعنَّـاك، قـال: فانصرَفْـتُ عنـه، ومـا في الأرض أحـدٌ أحـبُّ إليّ منـه[4]. وهكـذا تفعـل الكلمـة الطيِّبـةُ فعلهـا، فقـد التـزم الإمـام الحسـن عليه السلام بالمنهجيـة القرآنيـة في الدفـع بالتـي هـي أحسـن، فصـار هـذا الرجـل مـن شـيعته ومحبيـه، قـال تعـالى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت:34].

9 - **جوده:** لقد كان السخاء عنصرا من عناصر ذاته، ومقوِّما من مقومات مزاجه:

- وقد أُثِرَ عنه أنه ما قال لسائل: لا، قط.

-وقيـل لـه: لأي شيء لا نـراك تـردُّ سـائلا؟ فأجـاب: (إني للـه سـائل، وفيـه راغـب، وأنـا أسـتحي أن أكـون سـائلا، وأردَّ سـائلا، وإن اللـه عـوّدني عـادة أن يفيـض نعمَـه عـليَّ، وعوّدتـه أن أفيـضَ نعمَـه عـلى النـاس، فأخـشى إن قطعْـتُ العـادة أن يمنعنـي العـادة، وأنشـأ يقـول:

إذا ما أتاني سائلٌ قلْتُ مرحبًا *** بمَنْ فضلُه فرضٌ عليّ معجَّلُ
ومَنْ فَضْلُه فضلٌ على كلِّ فاضلٍ *** وأفضلُ أيامِ الفتى حين يُسْأَلُ[5]

(1) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج11، ص25.
(2) بك وبأبيك: ورد عند ابن خلكان في وفيات الأعيان: "فُعِلَ بك وبأبيك، أي أسبهما".
(3) أزمّ: سكت.
(4) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص247.
(5) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص295، نقلا عن الطبقات الكبرى للشعراني 1/ 23، وجوهرة الكلام للفراغولي، ص112، ونور الأبصار، ص111.

- واجتاز عليه السلام على غلامٍ أسود بين يديه رغيف، يأكل منه لقمة، ويَدْفَعُ لكلبٍ كان عنده لقمةً أخرى، فقال له الإمام: (ما حَمَلَك على ذلك)، فقال: إني لأستحيي أن آكُلَ ولا أُطْعِمَه، فرأى الإمام فيه خصلة من أحبّ الخصال عنده، فأحب أن يقابل إحسانه بإحسان، فقال له: (لا تبرحْ من مكانك)، ثم انطلق فاشتراه من مولاه، واشترى الحائط الذي هو فيه، فأعتقه، وملّكه إياه[1].

- ومن آيات مكارمه أنه اشترى حائطا من الأنصار بأربعمائة ألف، فبلغه أنهم قد احتاجوا إلى ما في أيدي الناس، فردّه إليهم[2]، إن إنقاذ هؤلاء من ذُلِّ السؤال، وردَّ شرفهم إليهم، من أفضل أنواع السخاء، ومن أسمى مراتب الجود.

- وقد خرج من ماله مرّتين، وقاسم الله ماله ثلاث مرات، حتى إنه كان ليُعْطِي نعلا، ويمسك نعلا، ويُعْطِي خفا، ويمسك خفا[3].

- وذكر المترجمون للإمام صورا كثيرة من ألوان بره وأصناف معروفه على الفقراء، وقيامه بإنقاذهم من كابوس الحاجة والفقر، وجميع تلك المبرات التي أسداها إليهم كانت خالصة لوجه الله، ولم تكن مشفوعة بأي غرض من الأغراض، فإنه كان يمنحهم العطاء والبر قبل أن يبوحوا بحاجاتهم؛ لئلا يظهر عليهم ذل السؤال والاحتياج.

10 - **حياؤه من الله وتعظيمه له، وتذلُّله بين يديه**، وكان هو وأخوه الحسين عليهما السلام يمشيان إلى الحج سيرا على الأقدام تواضعا لله وإخباتا إليه، وفي إحدى المرات حجًّا مشيًا فلم يمُرَّا براكب إلا نزل يمشي، حياءً منهما، فثقل ذلك على بعضهم، فقالوا لسعد بن أبي وقاص: قد ثقل علينا المشي، ولا نستحسن أن نركب، وهذان الفتيان يمشيان، فقال سعدٌ للحسن عليه السلام: يا أبا محمد، إن المشي قد ثقل على جماعة ممَّن معك، والناس إذا رأوكما لم تَطِبْ أنفسُهم بأن يركبوا، فلو ركبْتُما، فقال الحسن عليه السلام: (لا نركب، قد جعَلْتُ على نفسي أن أمشي، ولكن أتنكّبُ الطريق)، فأخذ عليه السلام جانبا منها. وقد مشى خمسا وعشرين حجا على الأقدام[4].

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص297، نقلا عن البداية والنهاية 8/ 38.
(2) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص300، نقلا عن الصبان ص176.
(3) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص9.
(4) المحلي: الحدائق الوردية، ج1، ص154.

11 - **تواضعه مع البسطاء والفقراء:** كان عليه السلام يحب عيشة البسطاء، ويستطيب طعامهم، وقد ذهب مرَّة إلى بستان لعبدالله بن عباس، فسأل قيِّم البستان، مدرك بن أبي راشد، إن كان لديه غداءٌ من طعام الغلمان، قال مدرك: فجئته بخبزٍ وملحٍ وجريشٍ[1] وطاقاتِ بقلٍ، فأكل منه، ثم جيء له بطعامه، وكان كثيرَ الطعام، طيِّبه، فقال: يا مدرك، اجمع غلمان البستان، فجمعهم، فأكلوا ذلك الطعام، وكان طعام الغلمان المتواضع عنده أشهى من طعامه الفاخر[2].

وقد اجتاز يوما على جماعة من الفقراء قد وضعوا على وجه الأرض كسيرات من الخبز، كانوا قد التقطوها من الطريق، وهم يأكلون منها، فدعوه إلى مشاركتهم، فأجابهم إلى ذلك وهو يقول: (إن الله لا يحب المتكبرين)، ولما فرغ من تناول الطعام دعاهم إلى ضيافته، فأطعمهم وكساهم، وأغدق عليهم بنعمه وإحسانه[3].

11 - ويكفيه فضلا سلام الله عليه أنه **كان في منتهى عفة اللسان**، ورغم حالات الخصومة الشديدة بينه وبين أعدائه، إلا أنه لم يُؤْثَرْ عنه طيلة حياته كلمة فحش أطلقها، لا على أقاربه وأصدقائه، ولا على خصومه، حتى أنّ بعضَهم أحصى عليه كلماته، فوجد أشدَّ كلمة قالها هي: (ليس له عندنا إلا ما رغِم أنفه)، قال عمير بن إسحاق: ما تكلم عندي أحد كان أحب إليّ إذا تكلّم أن لا يسكت من الحسن بن علي[4]، وما سمِعْتُ منه كلمةَ فُحْشٍ قط إلا مرَّة، فإنه كان بين حسين بن علي، وعمرو بن عثمان بن عفان خصومةٌ في أرض، فعرض حسينٌ أمرا، لم يرضه عمرو، فقال الحسن: (فليس له عندنا إلا ما رغم أنفه)، قال: فهذه أشدُّ كلمةِ فُحْشٍ سمِعْتُها منه قط[5].

13 - **فصاحته وبلاغته:** فقد كان عليه السلام من أبرع البلغاء في إصابته للمناسبات، ومن أقدرهم على الإيجاز والإعجاز والإبداع في الكلام، وحُقَّ له أن يكون كذلك؛ فالجدُّ

(1) الجريش: الذي لم يدق أو يطحن جيدا.
(2) المحلي: الحدائق الوردية، ج1، ص154.
(3) الأمين: أعيان الشيعة، ج4، ص24
(4) وهذا يبرهن أنه ليس صحيحا ما نسب إليه أنه كان في لسانه رتة؛ لأنه كان فصيحا، يحب السامع له أن يستمر في كلامه.
(5) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص252.

رسولُ الله صلى الله عليه وآله أفصح من نطق بالضاد، والأبُ عليٌّ عليه السلام سيد البلغاء وأمير البيان. وقد ترك عليه السلام تراثا رفيعا وحكما بالغة تحتوي على أصول الآداب الاجتماعية والنصح والإرشاد والوعظ الخالد، قد رُصِّعَتْ بجمال اللفظ وسمو المعنى، وإليكم نموذجا لها:

- مكارم الأخلاق: قال جابر: سمعت الحسن عليه السلام يقول: (مكارم الأخلاق عشرة: صدق اللسان، وصدق البأس، وإعطاء السائل، وحسن الخلق، والمكافأة بالصنايع، وصلة الرحم، والتذمم على الجار، ومعرفة الحق للصاحب، وقِرَى الضيف، ورأسُهن الحياء)[1].

- فضل القرآن: قال عليه السلام: (إن هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فليجلُ جالٍ بضوئه، وليلجم النصفة قلبه، فإن التفكير حياة القلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور)[2].

- الدعاء: قال عليه السلام: (ما فَتَحَ اللهُ عزّ وجل على أحد بابَ مسألة، فخَزَنَ عنه باب الإجابة، ولا فتح على رجل بابَ عمل، فخزن عنه باب القبول، ولا فتح لعبد بابَ شكرٍ، فخزن عنه باب المزيد)[3].

- البخل: قال عليه السلام: (البخل جامع للمساوئ والعيوب، وقاطع للمودات من القلوب). وسئل عليه السلام عن البخل، فقال: (هو أن يرى الرجل ما أنفقه تلفا، وما أمسكه شرفا)[4].

- إبطال الجَبْر[5]: رفع أهالي البصرة إليه عليه السلام رسالة يطلبون منه رأيه في مسألة الجبر، فأجابهم عليه السلام: (من لم يؤمن بالله وقضائه وقدره فقد كفر، ومن حمل ذنبه على ربه فقد فجر، إن الله لا يطاع استكراها، ولا يُعْصَى لغلبة؛ لأنه المليك لَمَا ملّكهم، والقادر على ما أقدرهم، فإن عملوا بالطاعة لم يَحُلْ بينهم وبين ما فعلوا، فإذا لم يفعلوا فليس هو الذي أجبرهم على ذلك، فلو أجبر الله الخلق على الطاعة لأسقط عنهم الثواب، ولو أجبرهم على المعاصي لأسقط عنهم العقاب، ولو أهملهم لكان عجزا في القدرة، ولكن له فيهم المشيئة التي غيّبها عنهم، فإن

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص313 - 314، نقلا عن تاريخ اليعقوبي 2/ 201.
(2) الآبي: نثر الدر، ج1، ص224.
(3) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص315 - 318.
(4) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص319.
(5) الجبر: هو القول والاعتقاد بأن الله يُجبر العباد على أعمالهم خيرا أو شرا.

عملوا بالطاعات كانت له المنة عليهم، وإن عملوا بالمعصية كانت الحجة عليهم)[1].

-الموت: جاءه رجل من الأثرياء، فقال له: يا ابن رسول الله إني أخاف من الموت، فقال له عليه السلام: (ذاك لأنك أخَّرت مالك، ولو قدّمْته لسرَّك أن تلحقَ به)[2].

- المساجد: قال عليه السلام: (من أدام الاختلاف إلى المسجد أصاب ثمان خصال: آية محكمة، وأخا مستفادا، وعلما مستطرفا، ورحمة منتظرة، وكلمة تدله على هدى، أو تردعه عن ردى، وترك الذنوب حياء أو خشية)[3].

وهكذا فقد كان سليل بيت النبوة يتبوأ أعلى مقامات الأخلاق، ويصطفي عقائل الصفات؛ وجدير بالمنتمين إليه هوية أن يقتبسوا من نور شمائله الساطع، وضياء خلائقه اللامع.

## 2 - حياته الشخصية

### أ - زواجه وأولاده

لما بلغ عليه السلام مبلغ الرجال تزوّج وأنجب، ويذكر مؤرخو أهل البيت عليهم السلام أن له من الأولاد أربعة عشر ابنا، ومن البنات ثمانيا، فأما الأولاد فهم:

- أبو محمد الحسن بن الحسن، وأمه خولة بنت منظور الفزارية، وكان وصيَّ أبيه، ووالي صدقته، وكان مع عمه الحسين عليه السلام بكربلاء، وحُمِلَ من المعركة جريحا، فأرادوا قتله، فمنع من ذلك أسماءُ بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري، وقال ابن زياد: دعوا لأبي حسان ابن أخته.

- ومن أولاده أيضا أبو الحسن زيد بن الحسن، وأمه أم بشير بنت أبي مسعود عقبة الخزرجية الأنصارية، مات بعد طول عمر بين مكة والمدينة، وهو أسنُّ من أخيه الحسن.

- ومن أولاده أيضا عمر، والقاسم، وعبدالله المكنّى (أبا بكر)، وكان عمه الحسين قد زوّجه بابنته سكينة، فاستشهد هو وأخواه عمر والقاسم في كربلاء مع عمّهما الحسين عليهم السلام، وكذلك عبدالرحمن، والحسين الأثرم، وطلحة الجود، وأمُّه أم

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص320.
(2) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص322، نقلا عن تاريخ اليعقوبي 2/ 202.
(3) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص323، نقلا عن عيون الأخبار لابن قتيبة 3/ 3.

إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله التيمي، وإسماعيل، ويعقوب، ومحمد، وجعفر، وحمزة، لأمهاتِ أولاد.

وذريته سلام الله عليه اليوم كلهم من الحسن بن الحسن، وزيد بن الحسن، وانقرض اثنان منهم، وهما عمر بن الحسن، والحسين الأثرم بن الحسن، بعد أن اتصل عقبُهما إلى أوائل دولة بني العباس، ثم انقرض، والباقون درجوا.

والبنات ثمان: فاطمة، وأم عبدالله، وزينب، وأم الحسن، وأم الحسين، وأم سلمة، ورقية، وفاطمة الصغرى، أعقبت منهن أم عبدالله، وأمُّها أم ولد، وتزوّجها السجاد علي بن الحسين عليهما السلام، فولدت له حسنا، وحسينا الأكبر، درجا، ومحمد الباقر، وعبدالله[1].

## ب - زوجاته

1 - خولة بنت منظور الفزارية: من سيدات النساء في وفور عقلها وكمالها، تزوّج بها الإمام، وفي ليلة اقترانه بها بات معها على سطح الدار، فشدّت خمارها برجله، وشدّت الطرف الآخر بخلخالها، فلمَّا استيقظ وَجَدَ ذلك، فسألها عنه فقالت له معربة عن حرصها على حياته: «خِفْتُ أن تقوم بوسنك في الليل فتسقط، فأكونَ أشأم سخلة على العرب»[2]، وقد أحبّها، ثم رُزِقَتْ منه السيد الجليل (الحسن)، وبقيت عنده إلى أن توفي عليه السلام، فجزعت عليه جزعا شديدا، فقال لها أبوها مسليا:

نبئت خولةُ أمس قد جزعت *** من أن تنوب نوائب الدهر
لا تجزعي يا خولُ واصطبري *** إن الكرام بنوا على الصبر[3]

2 - جعدة بنت الأشعث الكندية، وهي التي باعت نفسها للشيطان وأوليائه، وتورّطت في دمه الشريف، كما سيأتي، وكانت من الخائنات لأولياء الله وأعلام هداه، كزوجتي لوط ونوح.

(1) الهاروني: الإفادة، ص35؛ والمحلي: الحدائق الوردية، ج1، ص181؛ والبخاري: سر السلسلة العلوية، ص4 - 5، و20 - 21؛ والعمري: المجدي في أنساب الطالبين، ص200 - 202.
(2) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص24.
(3) الزجاج: الأمالي، ص7.

3 - عائشة الخثعمية: تزوَّجها في حياة أبيه أمير المؤمنين، ولما قُتِل عليه السلام، أقبلت إلى الإمام الحسن، فأظهرت الشماتة بوفاة أبيه، فقالت له: «لتهنك الخلافة»، فقال لها: (ألقتل عليٍّ تُظْهِرين الشماتة؟ اذهبي فأنت طالق)، فتلفّعت بثيابها، وقَعَدَتْ حتى انْقَضَتْ عدّتُها، فبعث لها بقية صداقها، وعشرة آلاف درهم صدقة؛ لتستعين بها على أمورها، فلما وصلت إليها: قالت: (متاع قليل من حبيبٍ مفارق)[1]، ولم يذكر التاريخ أن الإمام طلق زوجة له سوى هذه، وأم كلثوم بنت الفضل بن عباس، وامرأة من بني شيبان.

4 - أم كلثوم بنت الفضل بن العباس، تزوجها عليه السلام، ثم فارقها، فتزوّجها من بعده أبو موسى الأشعري.

5 - أم إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله التيمي، أم ولده طلحة.

6 - أم بشير بنت أبي مسعود الأنصاري، أم ولده الحسن.

7 - هند بنت عبدالرحمن بن أبي بكر.

8 - امرأة من بنات عمرو بن أهتم المنقري.

9 - امرأة من ثقيف، أولدت له ولدا أسماه عمرا.

10 - امرأة من بنات زرارة.

11 - امرأة من بني شيبان، من آل همام بن مرة، فقيل له: إنها ترى رأي الخوارج، فطلقها، وقال: (إني أكره أن أضم إلى نحري جمرة من جمر جهنم).

12 - أم عبدالله البجلية، وهي بنت الشليل بن عبدالله، أخو جرير البجلي.

13 - أم القاسم، وهي أم ولد، وقيل: اسمها نفيلة، وقيل: رملة[2].

## ج - هل كان كثير الزواج والطلاق؟

بلغ الحقد والتشويه بأعداء أهل البيت عليهم السلام أن اخترعوا فرية كبيرة على هذا الإمام راجت عند بعض المؤرخين، وقالوا بأنّ الإمام تزوّج عددا كبيرا من النساء،

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج4، ص216، نقلا عن القرشي.
(2) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج2، ص455 - 460.

وكان كثير الزواج كثير الطلاق، وأنه كان يتزوج المرأة اليوم ويطلقها غدا، ورمي أنه تزوج:1 - سبعين امرأة. 2 - وقيل: تسعين. 3 - وقيل: مائتين وخمسين. 4 - وقيل: ثلاثمائة.

ومدار هذه الروايات إما على:

- أبي الحسن علي بن عبدالله البصري، الشهير بالمدائني، المتوفَّى سنة 225هـ، وهو من الضعفاء الذين لا يعوّل على أحاديثهم، وكان يروي عن عوانة بن الحكم المتوفى سنة 158هـ، وهو أموي الهوى، كان يضع الأخبار لبني أمية، كما أنه كان مولى لسمرة بن حبيب الأموي، والموالي على الأكثر تنطبع في نفوسهم ميول مواليهم وسائرُ نزعاتهم.

- وإما على الشبلنجي، وروايته مرْسَلة، فلا يصحُّ التعويلُ عليها نظرا لإرسالها.

- وإما على أبي طالب المكي المتوفى سنة 380هـ، في كتابه (قوت القلوب)، وأبو طالب المكي لا يعوّل على مؤلفه، فقد ورد في ترجمته أنه لمّا ألف هذا الكتاب كان طعامه عروق البَرَدِي[1] حتى اخضرّ جلده من كثرة تناولها، وكان مصابا بالهستيريا، ورأى أهلُ بغداد في أحاديثه عندما قدِم إليهم هذيانا وخروجا عن موازين الاستقامة، فتركوه، ونبذوه، ومن هجره وشذوذه قوله: «ليس على المخلوقين أضرُّ من الخالق».

والدليل على أن هذه الفرية لا أساس لها عدد من الأدلة والقرائن، منها:

1 - أن من المعلوم أن الطلاق أبغض الأشياء في الإسلام، وقد تواترت الأخبار في كراهته، وفي النهي عنه، فكيف يرتكبه الإمام ويبالغ فيه إلى هذا المستوى غير المعقول.

2 - منافاته لهدي الإمام: وقد ثبت أن الإمام حليم المسلمين، والمثل الأعلى للأخلاق الفاضلة، وكثرة الطلاق بهذا الشكل ينافي الحلم؛ إذ فيه كسرٌ لقلب المرأة وإذلال لها، وذلك لا يتفق مع ما عرف به الإمام من الحرص على إدخال السرور على الناس، واجتناب المساءة، والأذى لكل إنسان.

3 - انشغاله عن ذلك: بعبادته واتجاهه نحو الله، وعمله المستمر في حقل الإصلاح، وقضاء حوائج الناس، وجلب الخير لهم، ودفع الشر والشقاء عنهم.

(1) البردي: نَبَات مائي من الفصيلة السعدية تسمو سَاقه الهوائية إِلَى نَحْو متر أَو أَكثر يَنْمُو بِكَثْرَة فِي منْطقَة المستنقعات بأعالي النّيل.

4 - لو صحّت لكان للإمام من الأولاد جمعٌ غفير يتناسب مع كثرة زوجاته، لكنَّ الحال أن النسابين والرواة لم يذكروا للإمام ذرية كثيرة، فإن الرقم القياسي الذي ذكر لذريته اثنان وعشرون ولدا ما بين ذكر وأنثى، وهذا لا يلتئم كليا مع تلك الكثرة، ولا يلتقي معها بصلة.

5 - ومما يزيد وضوحا بافتعال تلك الروايات المناظراتُ التي جرت بين الإمام الحسن عليه السلام، وبين خصومه، في دمشق وغيره، وقد أجهدوا نفوسهم، وأنفقوا كثيرا من الوقت للتفتيش عما يشين الإمام؛ ليتخذوه وسيلة إلى التطاول عليه، والنيل منه، فلم يجدوا لذلك سبيلا، ولو كان الإمام عليه السلام كثير الزواج والطلاق، كما يقولون، لقالوا له: أنت لا تصلح للخلافة؛ لأنك مشغول بالنساء، ولطبّلوا بذلك، واتخذوه وسيلة للتشهير به.

6 - لو كان الإمام عليه السلام كثير الأزواج لكان له من أصهاره أزواج بناته الكثيرات ما يتناسب مع تلك الكثرة، وقصارى مَن ذكروهم من الأصهار ثلاثة فقط سواء كان ذلك صحيحا أم غير صحيح.

7 - بالإضافة إلى أنّ أبا جعفر محمد بن حبيب المتوفى سنة 245هـ كان من المعنيين بموضوعات الزواج والأصهار ونوادرهما، فقد ذكر في كتابه (المحبَّر) كثيرا من نوادر الأزواج، ولو كان للإمام تلك الكثرة من الأزواج لألْمَعَ لها في محبَّره.

وعلى أي حال فليس هناك دليل يثبت كثرة أزواج الإمام سوى تلك الروايات التي لا تثبت أمام النقد والتمحيص، ونظرا لما ورد عليها من الطعون، فلا تصلح دليلا للإثبات.

### د - هي فرية المنصور العباسي

بعد ما تقدم، فإن السؤال الذي يطرح نفسه، هو: من كان وراء افتعال واختلاق هذه الفرية، والجواب هو أنه من المعروف عند الأمة أنّ أئمة أهل البيت ثاروا على الظلم والانحراف في عهد الأمويين، ولما انتقلت السلطة إلى العباسيين، ومارسوا نفس الظلم، كان من الطبيعي أن يثوروا عليهم، وكان للحسنيين، ذرية الإمام الحسن

بن علي عليه السلام أكبر الدور في هذه الثورة، وقد قاد الثورة على الأمويين ثم على العباسيين الإمام محمد بن عبدالله بن الحسن، الملقب بالنفس الزكية، المتوفى سنة 145هـ، وكان الخليفة العباسي الغشوم أبو جعفر المنصور قد بايع محمدا ذا النفس الزكية مرتين، فلما ثار ضده النفس الزكية وجّه آلته الدعائية والإعلامية والتثقيفية إلى الطعن في الحسنيين، وفي جدهم الحسن عليه السلام بالتحديد، حتى يهدم الأساس والرمز التاريخي لهم.

وأكبر الظن أنه هو أول من افترى فرية كون الإمام الحسن مزواجا مطلاقا، وروّج لها كجزء من الدعاية الحربية والسياسية والاجتماعية ضد الثوار الحسنيين، الذين كادوا أن يطيحوا بسلطانه، وقد ألقى القبض على الإمام الكامل عبدالله بن الحسن وإخوته وبعض أبنائهم، ثم خطب على الخراسانيين في الهاشمية خطابا شحنه بالسب والشتم لأمير المؤمنين علي ولأولاده عليهم السلام، وافتعل على الحسن ذلك، وهذا نص خطابه:

«إن ولد آل أبي طالب تركناهم والذي لا إله إلا هو والخلافة، فلم نعرض لهم لا بقليل ولا بكثير، فقام فيها علي بن أبي طالب، فما أفلح، وحكّم الحكمين، فاختلفت عليه الأمة، وافترقت الكلمة، ثم وثب عليه شيعته وأنصاره وثقاته، فقتلوه، ثم قام بعده الحسن بن علي، فوالله ما كان برجل، عُرِضَتْ عليه الأموال فقبلها، ودسّ إليه معاوية أني أجعلك وليّ عهدي، فخلعه، وانسلخ له مما كان فيه، وسلّمه إليه، وأقبل على النساء يتزوّج اليوم واحدة، ويطلّق غدا أخرى، فلم يزل كذلك حتى مات على فراشه»[1].

وعليه فإن خصوم الطاهرين من أهل البيت، وممن حكى الله عن سيادتهم لأهل الجنة، ليسوا جديرين بأن يَسْتَمِعَ إليهم مؤرِّخٌ ألمعيّ، أو أن يصغي إلى أكاذيبهم وافتراءاتهم مؤمنٌ تقيّ.

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج2، ص453 - 454.

# المبحث الرابع: الحسن في عهد والده الإمام علي عليهما السلام

## 1 - في قتال الناكثين (معركة الجمل)

استقبل جمهور المسلمين خلافة الإمام أمير المؤمنين بمزيد من السرور والابتهاج، واتساع الأمل والرجاء، وأنهم سينعمون من دون شك في ظل حكمه العادل، الذي لا يعرف الأثرة والاستغلال، ولا يميز قوما على آخرين، ويقضي على جميع الفوارق والامتيازات التي كانت على عهد عثمان، وقد بدأ الإمامُ منذ اليوم الأول في خلافته بتطبيق العدالة الإسلامية، وساوى بين المسلمين، في العطاء وغيره، وحطّم الفوارق والامتيازات التي أوجدها عثمان على مسرح الحياة الإسلامية، وقام بمصادرة الأموال المنهوبة التي منحها عثمان لأسرته وأقاربه، وقد أثارت هذه المبادئُ والأهدافُ سَخَطَ النفعيين والمنحرفين.

لم تمضِ إلا أيامٌ قليلة وإذا بهؤلاء النفعيين يُظْهِرون بوادر البغي والشقاق، ويُعْلِنون التمرُّدَ والعصيانَ، فكانت موقعة الجمل، فأرسل الإمام علي إلى أهل الكوفة مَنْ يحشُدُهم للقتال دفاعًا عن دولة الإسلام، وهو محمد بن جعفر بن أبي طالب، ومحمد بن أبي بكر، لكن أبا موسى الأشعري، والي الكوفة، أبدى مواقف غير طبيعية متخاذلا ومثبطا لعزائم المجاهدين، فوجه إليه هاشم المرقال، فرأى أبا موسى مصرا على تمرده، وممعنا في غلوائه وعدائه، فبعث الإمامُ ولدَه الحسن ومعه عمار بن ياسر، وأرسل معهما رسالة يعزل فيها أبا موسى عن منصبه، ويعيّنُ قرضة بن كعب في وظيفته، فالتأم حوله الناس في الكوفة زمرا، وأعلن عزل الوالي المتمرد عن منصبه، وتعيين قرضة في محله، ولكن أبا موسى بقي مصمما على مكره وغيه، فقال له الحسن: (يا أبا موسى، لم تثبِّطُ عنا الناس؟)، ثم قال له: (يا أبا

موسى والله ما أردنا إلا الإصلاح، وليس مثلُ أمير المؤمنين يُخافُ على شيء)، ومع ذلك ظل أبو موسى يكابر ويذري بعض الروايات إذراء الهشيم في الرياح العاصفة، ولم يُجْدِ معه كلام عمار، ولا ترفُّق الحسن، وطول صبره، وعظيم حلمه.

فتوجّه سبط النبي إلى الناس يحفزهم للجهاد، وخطب فيهم قائلا: (أيها الناس قد كان في مسير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ما قد بلغكم، وقد أتيناكم مستنصرين؛ لأنكم جبهة الأنصار، ورؤوس العرب، وقد كان من طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة ما قد بلغكم، وتعلمون أنَّ وَهْن النساء وضعْفَ رأيِهن إلى التلاشي، ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوّامين على النساء، وأيمُ اللهِ لو لم ينصره منكم أحدٌ لرجوْتُ أن يكون فيمن أقبل معه من المهاجرين والأنصار كفاية، فانصروا الله ينصركم).

وقام عمار، فأخذ يحفزهم للجهاد، ويبين لهم حقيقة الحال في شأن عثمان. ثم قام على إثرهما قيس بن سعد، فجعل يدعوهم إلى القيام بالواجب ونصر أمير المؤمنين، لكن أبا موسى بقي مصرا على انحرافه يثبط عزائم الناس، فاندفع الحسن عليه السلام يصيح به في ثورةٍ وعنفٍ، قائلا له: (اعتزل عملنا أيها الرجل، وتنحّ عن منبرنا لا أمَّ لك)، وأخذ يحث الناس على الخروج لنصرة أبيه، قائلا: (أيها الناس .. أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجَدُ إلى هذا الأمر مَنْ ينفر إليه، والله لئن يلِه أولو النهى أمثل في العاجل والآجل، وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا، وأعينونا على ما ابتُلِينا به وابتُلِيْتُم، ...).

فأجابه الناس بالسمع والطاعة، والامتثال والانقياد لأمره، وكان لا بد من حسم داء أبي موسى في التخذيل والتثبيط، وكان لا بد من دورٍ للقائد مالك الأشتر في ذلك، فرأى القائد الأشتر أن يتحرّك شعبيا لإخراجه من القصر مهانا مكسور الجناح، فأقبل مع جماعة من قومه، وأحاطوا بالقصر، ثم صاح به قائلا: «أخرج من قصرنا لا أمّ لك..»، وتردّد الأشعري برهة فصاح به مالك ثانيا: «اخرج .. أخرج الله نفسك، فوالله إنك لمن المنافقين»، حينها لم يملك أبو موسى إلا أن غادر

القصر مذموما. وهذا يبين أهمية إزاحة القيادات والقدوات المؤثِّرة سلبا في المجتمع بالطريقة المناسبة.

وحينئذ صفا الجوُّ للإمام الحسن، وأقبل يتحدث إلى الناس بالخروج قائلا: (أيها الناس، إني غادٍ، فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظّهر [البر]، ومن شاء فليخرج في الماء [النهر])، واستجابت الجماهير لدعوة الحسن عليه السلام، وعجّت الكوفة بالمجاهدين النافرين إلى البصرة للجهاد، تحت قيادة الحسن، فانتهوا إلى ذي قار، وقد التقوا بالإمام أمير المؤمنين حيث كان مقيما هناك، فسُرَّ بنجاح ولده، وشكر له جهوده ومساعيه النبيلة[1].

إن هذه الجهود التي بذلها سبط النبي صلى الله عليه وآله لتدل دلالة واضحة على أهليته في القيادة والسيطرة والتحشيد والإقناع، والتحرك الإعلامي الفاعل والهادف.

وفي عرصة المعركة خطب عبدالله بن الزبير في أهل البصرة، وكان من أشد المحرضين على إثارة الفتنة، وإراقة الدماء، وحفل خطابه بالمغالطات والأكاذيب، وإثارة النعرات والعصبيات المناطقية، وحرّض أهل البصرة ضد أهل الكوفة، وضد أمير المؤمنين، فبلغ ذلك أمير المؤمنين، فأوعز إلى ولده الحسن بالردِّ عليه، فقام الحسنُ خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (قد بلغتنا مقالة ابن الزبير في أبي، وقوله فيه: إنه قتل عثمان، وأنتم يا معشر المهاجرين والأنصار وغيرهم من المسلمين، علِمْتُم بقول الزبير في عثمان، وما كان اسمه عنده، وما كان يتجنَّى عليه، وأن طلحة يومذاك ركز رايته على بيت ماله، وهو حي، فأنى لهم أن يرموا أبي بقتله، وينطقوا بذمِّه، ولو شئنا القول فيهم لقلنا. وأما قوله: إن عليا ابتزَّ الناسَ أمْرَهم، فإنَّ أعظم حجة لأبيه زعم أنه بايعه بيده، ولم يبايعْه بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة، وادّعى الوليجة[2]، فليأت على ما ادّعاه ببرهان، وأنّى له ذلك؟ وأما تعجُّبُه من تورُّد أهل الكوفة على أهل البصرة، فما عجَبُه من أهل حقٍّ توردّوا على أهل باطل. أما أنصارُ عثمان فليس لنا معهم حرب ولا قتال، ولكننا نحارب راكبة الجمل وأتباعها...).

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص386 - 393.
(2) الوليجة: البطانة، أي الظاهر منه البيعة للإمام علي، فما ادعاه من الوليجة، وهو الشيء الذي يبطنه، يعتبر دعوى وخلافا للأصل، وتتطلب برهانا.

وهنا تتبين عبقرية الحسن عليه السلام الإعلامية في: 1 - تبيين قضية مقتل عثمان، 2 - وتحويل الدفاع عن الإمام علي بشأن مقتل عثمان، إلى الهجوم بأن طلحة والزبير هما اللذان شركا في دمه، 3 - وأنهما خانا بيعتهما للإمام علي، وانقلبا على أنفسهما، 4 - وفي توجيه الحرب إلى راكبة الجمل وأتباعه، وليس إلى أهل البصرة، 5 - وفي إطفاء جذوة الروح العصبية البصرية التي حاول إشعالها ابن الزبير، وتحويل الصراع إلى صراع مناطقي بين الكوفة والبصرة.

واندفع عمرو بن أحيحة، فأبدى إعجابه البالغ بخطاب الإمام الحسن، فقال:

حسن الخير يا شبيهَ أبيه *** قُمْتَ فينا مقامَ خيرِ خطيب

قمْتَ بالخطبة التي صدع اللـ *** ـه بها عن أبيك أهلَ العيوب[1]

ثم هُزِم أهل الجمل، وظهر الإمام الحسن في تلك المعركة بطلا وقائدا محنّكًا استطاع أن يحفِّزَ الجماهير ويجهِّزَهم لقتال القوى الباغية على أبيه.

## 2 - في قتال القاسطين (معركة صفين)

لما عزم الإمام على مناجزة معاوية المتمرِّد بالشام، كان للإمام الحسن دورٌ كبير في التحشيد والتعبئة، وكان يقود الحرب الإعلامية والنفسية، فأخذ يوقظ الهمم، ويبعث الحزم والنشاط في النفوس، ويحثها على الخروج لحرب معاوية، كما فعل ذلك من قبل في معركة الجمل، وقد آتى تعليمُ الإمام علي لولده الحسن الخطابة أكله في خلافته، فقد قام خطيبا بين الجماهير يدعوهم إلى الجهاد.

لقد حمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: (إنّ مما عظّم الله عليكم من حقه، وأسبغ عليكم من نعمه، ما لا يُحْصَى ذِكْرُه، ولا يُؤَدَّى شُكْرُه، ولا يَبْلُغُه صفةٌ ولا قول، ونحن إنما غضِبْنا لله ولكم، فإنه منّ علينا بما هو أهله، أن نشكر فيه آلاءه وبلاءه ونعماءه، قولا يصعد إلى الله فيه الرضا، وتنتشر فيه عارفة الصدق، يُصْدِقُ اللهُ فيه قولنا، ونستوجب فيه المزيدَ من ربِّنا، قولا يزيد ولا يَبيد، فإنه لم

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص398 - 399.

يجتمع قومٌ قط على أمرٍ واحدٍ إلا اشتدَّ أمرُهم، واستحكمت عقدتهم، فاحتَشِدُوا في قتال عدوِّكم معاوية وجنودِه، فإنه قد حضر، ولا تخاذلوا؛ فإن الخذلان يُقَطِّع نياطَ القلوب، وإنّ الإقدام على الأسنّة نجدة وعصمة؛ لأنه لم يمتنع قومٌ قط إلا رفع الله عنهم العلة، وكفاهم جوائح الذلة، وهداهم إلى معالم الملة)، وحفل خطابه البليغ بالدعوة إلى الوحدة والتعاون، وبذل الجهود لمحاربة القوى الباغية، فخفَّ كثيرٌ من الناس لنصرة الحق والدفاع عن الإسلام[1].

لقد حاول معاوية إثارة البلبلة داخل معسكر الإمام علي، وأراد أن يصوّر المشكلة بأنها في الإمام عليٍّ وحده، وأنه حتى لو تميّز أبناؤه عنه لما كان لديه اعتراض في تولية ابنه الحسن بدلا عن أبيه، ومن أجل هذه المهمة أرسل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، فأرسل إليه أن يلقاه، فلقيه الحسن فقال له عبيد الله: إن أباك قد وَتَرَ قريشًا أولا وآخرا، وقد شنئوه فهل لك أن تَخْلُفَه ونولِّيَك هذا الأمر؟ قال: (كلا والله لا يكون ذلك). ثم قال له الحسن: (لكأني أنظر إليك مقتولا في يومك أو غدك، أما إنّ الشيطان قد زيّن لك وخَدَعَك، حتى أخرجك مُخَلَّقًا بالخَلوق [الطيب]، لترى نساءُ أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله ويبطحك لوجهك قتيلا). فما كان إلا كيومه أو كالغد وكان القتال، فخرج عبيد الله في كتيبة رقطاء - وهي الخضرية - كانوا أربعة آلاف، عليهم ثياب خضر، فنظر الحسن فإذا هو برجل همداني يتوسّد عبيدالله بن عمر قتيلا، فحمد الله[2].

ولما حمي وطيس معركة صفين بادر الحسن عليه السلام ليحمل على صفوف أهل الشام، ويتوغل في أوساطهم مقاتلا بضراوة وحماس، فلما بصر به الإمام ذُهِلَ وأُريع، وقال لمَنْ حوله: (املكوا عني هذا الغلام، لا يهدّني، فإنني أنفَسُ بهذين - يعني الحسن والحسين - على الموت؛ لئلا ينقطع بهما نسلُ رسول الله)[3]. وهذه الحادثة تشير إلى منع الحسن عليه السلام من الغوص في عمق المعركة فقط، أما القتال بين الصفين بشكل طبيعي فكان أمرا واردا.

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص432 - 433.
(2) المنقري: وقعة صفين، ص297.
(3) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج11، ص25.

ولما استُشْهِدَ عمار بن ياسر، وكان قد استفاض في المسلمين جميعا، حتى في أوساط جيش أهل الشام، أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد أخبر أنّ عمارا تقتله الفئة الباغية، وقف الإمام الحسن واجما مستعبرا عند مصرع الشهيد العظيم الذي ساهم في بناء الإسلام، فأخذ يتلو على المسلمين ما سَمِعَه من جدِّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في فضله، والإشادة بعظيم منزلته، فقال عليه السلام: «إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه: (ابنوا لي عريشا كعريش موسى)، وجعل يتناول اللِّبْنَ من قومه، وهو يقول: (اللهم لا خيرَ إلا خيرُ الآخرة، فاغفِرْ للأنصار والمهاجرة، وجعل يتناول اللبن من عمار، وهو يقول: (ويحك يا ابنَ سُمَيَة تقتلك الفئة الباغية). وقال: إنّ جدي قال: (إن الجنة لتشتاق إلى ثلاثة: علي، وعمار، وسلمان)»[1]. وهذا يبين طبيعة الدور العسكري والإعلامي والتحشيدي والتعبوي الذي كان يقوم به الإمام الحسن في معركة صفين.

## 3 - بعد مهزلة التحكيم

وبعد مهزلة التحكيم، وإذاعة خبر خلع أبي موسى للإمام زادت الفتنة، وكثر الاختلاف والانشقاق بينهم، وجعل بعضهم يتبرأ من بعض، ويشتم بعضهم بعضا، ورأى الإمام أن خطورة الموقف تقضي بأن يقوم نفر من أهل بيته، فيخطبوا بين الناس ليوقفوهم على حقيقة الحال، ويبينوا لهم فساد التحكيم، فقال للحسن: قم يا بني، فقل في هذين الرجلين عبدالله بن قيس، وعمرو بن العاص، فقام الحسن، فاعتلى أعواد المنبر، فقال: (أيها الناس، قد أكثرْتُم في هذين الرجلين، وإنما بُعِثَا ليَحْكُما بالكتاب على الهوى، فحَكَمَا بالهوى على الكتاب، ومَنْ كان هكذا لم يُسَمَّ حَكَمًا، ولكنه محكومٌ عليه، وقد أخطأ عبدُالله بنُ قيس؛ إذ جعلها لعبدالله بن عمر، فأخطأ في ثلاثِ خصال: واحدة أنه خالف (يعني أبا موسى) أباه (يعني عمر)؛ إذ لم يرضَه لها، ولا جعله من أهل الشورى، وأخرى أنه لم يستأمِرْه في نفسه، وثالثها أنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار، الذين يعقدون الإمارة، ويحكمون بها على

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص455.

الناس، وأما الحكومة فقد حكّم النبي صلى الله عليه وآله سعد بن معاذ في بني قريظة، فحكم بما يرضى الله به، ولا شك بأنه لو خالف لم يرضَه رسول الله صلى الله عليه وآله)، ثم نزل عن منصة الخطابة[1] بعد أن حزّ مفصل الشقاق، وأبان اللثام عن وجه الشبهة. وهو أمر يفيدنا بأن لا نسكت للإشاعات تنتشر ولا نتحرك لتبيينها، وإزهاق زخارفها.

## 4 - عند استشهاد والده عليهما السلام

ثم بعد خدعة التحكيم توالت المحن والآلام على الإمام علي وحكومته بسبب تفرُّق أتباعه، وكثرة شَغَبهم، وعدم تسليمهم له، واستغلَّ معاوية ذلك الوضع ليشن هجمات متكررة على أطراف دولته، فقتل النساء، والرجال، والأطفال، من مواطني دولته المسلمين والمعاهدين، وبقي الإمام أمير المؤمنين بقية خلافته مكلومَ القلب، يتلقّى في كل فترة من زمانه ألوانا مريعة من الرزايا والخطوب، ينظر إلى العدل وهو مضام، وإلى الخير وهو مضيع، وإلى البغي قد كثر، وإلى الجور قد طغى، ويرى باطل معاوية يستحكم، وهو لا يتمكن على مناجزته؛ لأن جيشه أصبح متمردا عليه، يأمره فلا يطيع، ويدعوه فلا يستجيب، قد خلد إلى الراحة، وسئم التعب، وكره الجهاد في سبيل الله، وتركت هذه الكوارث أسى مريرا في نفسه.

في تلك الأثناء ما لبِثَ شقيُّ هذه الأمة أن كان أداة لمؤامرة كبيرة استهدفت الإمام عليا في محراب عبادته في ليالي القدر قبيل صلاة الفجر، فخضب لحيته من دماء جبهته الشريفة، في ليلة التاسع عشر من رمضان سنة 40هـ، فهُرِعَ الناس إلى المسجد بجميع طبقاتهم، قد أذهلهم الخطب، وروّعهم المصاب، فنظر الإمام إلى ولده الحسن، وأمره أن يصلي بالناس، وصلى الإمام وهو جالس، والدم ينزف منه، ولما فرغ الحسَنُ من صلاته أخذ رأسَ أبيه، فوضعه في حجره، وسرعان ما جيء بالأثيم المجرم ابن ملجم، مكتوفا مكشوف الرأس، فأوقِفَ بين يدي الحسن، فقال له: (يا ملعون، قتلْتَ أمير المؤمنين، وإمامَ المسلمين، هذا جزاؤه حين آواك وقرَّبك حتى تجازيَه بهذا الجزاء).

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص479 - 480.

ثم تذكّر الإمام علي ما فعله عبيدالله بن عمر بن الخطاب انتقاما لمقتل أبيه، من قتلِ زوجةِ وأطفالِ أبي لؤلؤة الذين لا ذنب لهم، ومن قتل الأبرياء كالهرمزان، فقال عليه السلام مخاطِبًا لآله وذويه: (يا بني عبدالمطلب لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين خَوْضًا تقولون: قُتِل أمير المؤمنين، قُتِلَ أميرُ المؤمنين، ألا لا تقتلُنّ بي إلا قاتلي، انظروا إذا أنا متُّ مِنْ ضَرْبَته، فاضربوه ضربةً بضربة، ولا يُمَثّل بالرجل، فإني سمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقول: (إياكم والمُثْلَةَ ولو بالكلب العقور). وأخذ عليه السلام يوصي ولده الحسن خاصة بمعالم الدين، وإقامة شعائره، ثم غادر هذه الدنيا، وقد ملأها علما وجهادا، وفضلا وإحسانا، كريما على الله، مشتاقا إليه وإلى رسوله صلى الله عليه وآله، وإلى زوجته الصديقة الزهراء[1]، وتلقى الحسن عليه السلام كل ذلك بأذن واعية، وقلب زكي، وكان نعم الخلف لنعم السلف، وهكذا أهل البيت عليهم السلام يحرصون على أمتهم وأبنائهم وذويهم حتى في آخر لحظات حياتهم، حتى لا يقعوا في ما يغضب الله، وحتى لا يَشِينوا صفحاتِ تاريخِهم الناصع، وسيرِهم البيضاء.

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص509 - 511.

# المبحث الخامس: خلافته وبيعته وجهاده للقاسطين

## 1 - بيعته

بويع له – صلوات الله عليه – يوم الاثنين لثمانٍ بقين من شهر رمضان سنة أربعين، بعد دفن أمير المؤمنين علي عليه السلام[1]، وكان الرسول صلى الله عليه وآله قد نصَبه إماما على أمته، وقال فيه وفي أخيه: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)، وأقبل صبيحة يوم البيعة، وقد احتفت به البقية الباقية من صلحاء المهاجرين والأنصار، فاعتلى منصة الخطابة، وابتدأ بحمد الله والثناء عليه، ثم بيَّن موقعه من رسول الله صلى الله عليه وآله، وأنّ الله اصطفى الأعلام من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله، وأنّ الله افترض مودتهم وولايتهم، ثم أبّن فقيد العدالة الكبرى، والده أمير المؤمنين، وعدَّدَ بعض فضائله ومواهبه.

لقد قال عليه السلام: (الحمدلله الذي لم يزل للحمد أهلا، الذي منّ علينا بالإسلام، وجعل فينا النبوة والكتاب، واصطفانا على خلقه، فجعلنا شهداءَ على الناس، وجعل الرسولَ علينا شهيدا[2]، أيها الناس، مَنْ عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفْني فأنا الحسن بن محمد صلى الله عليه وآله، والجدُّ في كتاب الله أبٌ، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَآئِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: 38]، فأنا ابنُ النبي، وأنا ابنُ الوصي، وأنا ابنُ البشير النذير، وأنا ابنُ الداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابنُ السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذي كان جبرئيل ينزل إلينا، ويصعَدُ من عندنا، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، ونحن أهلُ بيتٍ افترضَ اللهُ مودّتنا وولايتنا على كل مسلم، فقال تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وآله: ﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ

(1) الهاروني: الإفادة، ص33.
(2) الحسني: المصابيح في السيرة، ص315.

عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ اللهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى:23]، فاقتراف الحسنة مودَّتُنا أهلَ البيت، لقد قُبِض في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون بعمل، ولم يدركه الآخَرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وآله، فيقيه بنفسه، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يوجهه برايته، فيكنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه، وما خلَّف صفراءَ ولا بيضاءَ إلا سبعَمائةِ درهمٍ، فَضَلَتْ من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادما لأهله، ....، أيها الناس لقد فقدتم رجلا لم يكن بالملومة في أمر الله، ولا النؤومة عن حق الله، ولا السروقة من مال الله، أعطى الكتابَ عزائمه، دعاه فأجابه، وقاده فاتّبعه، صلوات الله عليه وعلى آله ومغفرته، ونحتسب أمير المؤمنين عند الله)[1].

ولما أنهى عليه السلام خطابه انبرى عبدالله بن العباس، فحفّز المسلمين إلى المبادرة لمبايعته قائلا: (معاشر الناس هذا ابنُ نبيّكم، ووصي إمامكم، فبايعوه). واستجاب الحاضرون لهذه الدعوة المباركة، قائلين: (ما أحبَّه إلينا، وأوجبَ حقَّه علينا، وأحقَّه بالخلافة)، ثم باشر ابن عباس أخذ هذه البيعة بنفسه[2].

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري بعده، فحمد الله وأثنى عليه، وحرص على التذكير بانحراف عثمان، وأبرز ما كان عليه الإمام علي عليه السلام من عدالة اجتماعية، وإقامة للكتاب، وأنه خيرُ الخلق بعد رسول الله، ثم ذكر مؤهِّلات الإمام الحسن بأنه ابنُه وابنُ رسول الله، وأولى عباد الله بالأمر، وأنه يمضي في ما مضى فيه أبوه، مبيِّنًا أنَّ مشروعه وبرنامجه هو نفس مشروع وبرنامج والده، حيث قال: «وهذا ابْنُه وابنُ رسولِ الله، وأولى عباد الله اليوم بهذا الأمر، فقوموا إليه رحمكم الله، فبايعوه ترشدوا وتصيبوا». ونحن نرى من خلال هذه الخطب التأكيد على بنوة الإمام الحسن للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، وعليه فهو أولى الناس بمقامه بالنص الشرعي، وبالعرف العربي.

(1) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص32 - 33، والحسني: المصابيح في السيرة، ص315.
(2) الهاروني: الإفادة، ص33.

ثم قام إليه المسيب بن نجبة الفزاري، وسليمان بن صرد الخزاعي، وسعيد بن عبدالله الحنفي، وحُجر بن عدي الكندي، وعدي بن حاتم الطائي، فبايعوه، فكان يقول للرجل: (تبايع على كتاب الله وسنة نبيه، سلمٌ لمَنْ سالَمْتُ، وحربٌ لمَنْ حارَبْتُ)، فعلموا أنه يريد الجد في الحرب، فكأن أمير المؤمنين عليه السلام أوصاه بذلك عند وفاته، وقد كان أمير المؤمنين لما انصرف من حرب النهروان جمع الناس، وأمراء الأجناد، وأعلن فيهم أنه يريد الخروج إلى الشام، وجهز الجيش، وعقد الألوية لذلك؛ على أن يبدأوا هجومهم في شوال، لكن حال دون ذلك استشهاده في رمضان[1].

ثم وردت عليه بيعة أهل مكة، والمدينة، وسائر الحجاز، والبصرة، واليمامة، والبحرين[2]، وكتب إلى عمال أبيه، يُقِرُّهم في أعمالهم، واستقامت له جميع النواحي، إلا الشام ومصر[3]، وهذه روايةٌ نَقَلَتْ لنا أجواءَ البيعة في مدينة البصرة القريبة من الكوفة، تقول: إنه لما بلغ نعي أمير المؤمنين علي عليه السلام ومبايعة المسلمين لولده الحسن إماما إلى أبي الأسود الدؤلي في البصرة، خطب الناس، ونعى عليا، فقال في خطبته: «إن رجلا من أعداء الله المارقة في دينه، اغتال أمير المؤمنين، كرم الله وجهه ومثواه، وهو خارج لتهجده في ليلة يُرْجَى فيها مصادفةُ ليلة القدر، فقتله، فيا لله من قتيل، وأكرم به وبروحه من روح، عَرَجَتْ إلى الله بالبر والتقوى، والإيمان والهدى، ... فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين، وعليه السلام ورحمة الله يوم وُلِدَ، ويوم قُتِلَ، ويوم يُبْعَثُ حيا»، ثم بكى حتى اختلجت أضلاعه، ثم قال: «وقد أوصى بالإمامة إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وابنه، وسليله، وشبيهه في خلقه وهديه، وإني لأرجو أن يَجْبُرَ اللهُ به ما وَهَى، ويَسُدُّ به ما انثلم، ويَجْمَعُ به الشَّمْلَ، ويُطْفِي به نيران الفتنة، فبايعوه ترشدوا»، فبايعت الشيعة كلُّها، وهرب قومٌ فلحقوا بمعاوية[4].

(1) الهاروني: الإفادة، ص33؛ والحسني: المصابيح في السيرة، ص316.
(2) الهاروني: الإفادة، ص33.
(3) الحسني: المصابيح في السيرة، ص318.
(4) المحلي: الحدائق الوردية، ج1، ص167.

## 2 - ولايته منصوص عليها

ومع ذلك فإنه ممَّا يجب التنبُّه له أنه في ظل وضع مؤسف، وصل إليه حال أهل العراق، ومواطنو الحكومة العلوية، استلم الحسن سلام الله عليه الخلافة باعتباره الإمامَ المنصوص عليه بحديث الثقلين، وبحديث (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)، الذي تلقّاه أهل البيت سلام الله عليهم بالقبول، وأجمعوا على صحته والاحتجاج به، وإجماعهم حجة قطعية.

وبناء على ذلك فإن شرعية إمامة الحسن سلام الله عليه ليست مأخوذة من بيعة الحاضرين له، بل هي مستندة إلى النص الشرعي، الذي لا يمكن تعطيله بأي حال من الأحوال، وإذا كان هناك مانع يمنع الإمام من القيام بعمله فإن المسؤولية ليست على ذلك الإمام، وإنما تتوجّه ضد من افتعل ذلك المانع، ولم يعمل بذلك النص الشرعي، شأنه شأن أبيه الإمام علي بن أبي طالب، الذي حيل بينه وبين أن يكون خليفة رسول الله بعد موته.

لقد كان الإمامُ الحسنُ وأهله وأصحابه يعتقدون أنه الإمام بنص الرسول صلى الله عليه وآله وقد مرَّ قولُه: (ونحن أهل البيت الذين كان جبريل فيهم ينزل، ومنهم يصعد، ونحن الذين افترض الله مودتنا وولايتنا)[1]، ولما سمعه ابن عباس قام بين يديه، فدعا الناس إلى بيعته فاستجابوا له وقالوا: ما أحبَّه إلينا، وأحقَّه بالخلافة[2]. وفي كتابه إلى معاوية - وهو أحد الوثائق السياسية في ذلك العصر - أبان عن عقيدته التي ترى أن قريشا توثّبت على سلطان أهل البيت بعد وفاة رسول الله، وأنهم (أي أهل البيت) تركوا مواجهتهم حفاظا على الإسلام ومصالحه الكبرى، وخشيةَ أن يجد المنافقون والأحزابُ مغمزا يثلمون الإسلام من خلاله[3]. بل نقل ابن عبدالبر، وهو من المحدّثين المعروفين لدى العامة، إجماعَ العلماء أنّ الحسن عليه السلام كان يرى نفسه الأحق بالأمر[4].

(1) المصابيح لأبي العباس الحسني، ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصفهاني.
(2) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني.
(3) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني.
(4) الاستيعاب.

ولم يُقِرَّ عليه السلام في يوم من الأيام بشرعية معاوية حتى بعد مهادنته إياه؛ بل ظل يعتبره مغتَصِبًا للحكم وفتنة للأمة، وفي إحدى المرَّات قال عليه السلام في مَحْضَر معاوية: «وليس الخليفة مَنْ دان بالجور، وعطَّل السنن، واتّخذ الدنيا أبًا وأمًّا، ولكن ذلك مَلِكٌ أصاب ملكاً يُمَتَّع به، وكأن قد انقطع عنه، واستعجل لذته، وبقيت عليه تبعَتُه، فكان كما قال اللّه جل وعزّ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأنبياء:111]»[1]، وهو سلام الله عليه يفرّق في هذا الخطاب بين الخلافة الربانية التي يرتضيها الله وملك المتغلّبين المغتصبين.

وبما سبق يتبين أن البيعة التي أعطاها المسلمون للإمام الحسن عليه السلام كانت فقط بمثابة استعدادهم لنصرته، وأنه لم يكتسب بها شرعية كونه إمام الأمة؛ لأنه مختارٌ من الله، منصوص عليه، بايَعوا أم لم يبايعوا.

لكنه ما إن استلم ملف الخلافة حتى برزت أمامه تلك التحديات الكبيرة التي كانت قد واجهت أباه في آخر خلافته، من كون أهل العراق شيعًا متفرقين، ففيهم الخوارج الناقمون ضد أبيه، وفيهم المحاربون الذين تحرّكهم المطامع، وفيهم الذين خلدوا للدنيا وراحتها، وفيهم المائلون والممالئون لحكم معاوية، كما كان فيهم قلة من أهل البصائر والاستعداد.

## 3 - حرب لمن حارب، وسلم لمن سالم... لماذا؟

رغم تضجُّر والده عليه السلام في آخر حياته من تخاذل أهل العراق، إلا أنه في آخر أيامه كان قد حشد جيشا اعتُبِر نواةً للجيش المزمَع إنفاذه إلى الشام لجهاد معاوية، فقد جمع عليه السلام الناس، وأمراء الأجناد، وأعلمهم أنه يريد الخروج إلى الشام، وأنه لا يسعه غير ذلك، فدعا قيسَ بن سعد بن عبادة، وعقد له على خمسة آلاف رجل، ودعا الحسين بن علي، وضمّ إليه ألفين من الأنصار وأبنائهم، ودفع إليه الراية، وصيرّ قيس بن سعد تحت لوائه، فخرج الحسين بن علي عليه السلام، وذلك في غرة شهر رمضان حتى نزل المدائن، وعزم أمير المؤمنين أن يخرج في غرة شوال، لكنه قُتِلَ ليلة تسع عشرة من شهر رمضان[2].

(1) البيهقي: المحاسن والمساوئ، ج2، ص63.
(2) الهاروني: الإفادة، ص33؛ والحسني: المصابيح في السيرة، ص316.

ثم حرّك استشهادُه بعض الموات والجمود عند أهل العراق، وأشعل فيهم شيئا من روح الحمية، ولما بويع الإمام الحسن رأت فئاتٌ من أهل العراق في هذا الإمام الجديد شخصا آخر يمكن أن تعلّق آمالها عليه؛ لأنه ابن رسول الله، وتروي فيه أنه وأخاه سيدا شباب أهل الجنة، ومن هؤلاء بعض الخوارج الذين انضووا تحت لوائه، وقد جاء بعضهم إليه لمبايعته ولكن بشرط أن يذهب لحرب معاوية، فرأى هو أن هذا شرطٌ يسلب الإمام صلاحياته، ويوفّر لهم ولغيرهم الافتئات عليه في قراراته، فرفض بيعتهم، ثم ما لبثوا أن عادوا لمبايعته بحسب البيعة التي يرتضيها.

لم تكن إمامة الحسن تقتصر على حرب معاوية أو المصالحة معه؛ إذ كان لديه مسؤوليات أخرى، من تجسيد دين الله، وإقامة القسط، وإحقاق الحق، وإزهاق الباطل، ومع ذلك فإن من المهم أن نعرف أن الحسن كان في بداية الأمر يجوّز في حربه مع معاوية انتصاره كما كان يجوّز هزيمته، وكان الواجب عليه أن يترك الأمور لوقتها.

لهذا حمل الإمام الشرعي لواء الجهاد ضد المتمرد معاوية، واستعدّ للقيام بما تمليه عليه حاجة الأمة ومصالحها واستعداداتها ومبادئها، ولأنه كما نعتقد لم يكن يعلم تفاصيل ما سيحدث، مثله مثل غيره من الأئمة، فإنه كان بين الرجاء والخوف، وكان يجوّز الانتصار على معاوية كما كان يجوّز الهزيمة، وهو بشر ويتحرّك بين البشر، وأنصاره ليسوا من الملائكة، وهو في ظروف قد تجعل ميزان الانتصار له أو عليه، وقد كان أيضا يعلم طبيعة وأخلاق أهل العراق الملتوية، وكثرة مخالفاتهم ومشاجراتهم على ولاتهم، ولهذا جعل نصّ البيعة بشكلٍ يخوّله أن يتخذ القرار المناسب بحسب مصلحة الأمة حربا أو سلما، فكان يقول للرجل: (تبايع على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، سلْم لمن سالمت، وحرب لمن حاربت).

وكان أمير المؤمنين عليه السلام كما تقدم قد أوصاه بجهاد معاوية عند وفاته، لكن أهل الكوفة كانوا منقسمين: فمنهم من يرى الحرب، ومنهم من يرى الموادعة، فتفتّقت عبقريته الإدارية وحكمته عن صيغة ذكية تعزّز من قوة مركزه القانوني المعنوي في اتخاذ القرار المناسب، حربا أو سلما، وتعزيز مبدأ التسليم لعَلَم الهدى.

## 4 - إجراءات تفيد أنه يعتزم الجهاد

كان أول عمل نفذه هو أن استقاد من عبدالرحمن بن ملجم أشقى الآخرين، فدعا به إليه، فسأله ابن ملجم: ما الذي أمرك به أبوك، قال: (أمرني أن لا أقتل غير قاتله، وأن أُشْبِعَ بطنك، وأُنْعِمَ وطاءك، فإن عاش اقتص أو عفا، وإن مات ألحقتك به)، فقال ابن ملجم: إن كان أبوك ليقول الحق، ويقضي به في حال الغضب والرضا، فضربه الحسن بسيفه، وقتله[1].

لقد كان من الطبيعي أن يتوقع الحسن أنه لا بد من المواجهة بين الخلافة الشرعية وبين المتغلّب معاوية، وأنه لا بد أن يقوم بدوره الجهادي، وقد اتخذ إجراءات تفيد اعتزامه الحرب ومنها:

1 - أنه زاد المقاتلة (وهم المثبتون في ديوان الجيش) مائةً مائةً من الدراهم، وكان ذلك أول شيء أحدثه حين الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعده[2].

2 - أنه أمر بقتل رجلين في البصرة والكوفة كانا يتجسّسان لعدوّه عليه[3]. وهي خطوةٌ أراد بها حَسْمَ مادّة النفاق والإفساد وقتل الهمم، وإيصاد الباب الذي تمر منه كشف عورات بلده إلى عدوه، كما تكشف عن حجم التحركات المعادية التي كان ينفذها أولياء معاوية في بلده.

## 5 - اشتعال الحرب الباردة

بعد استشهاد الإمام علي عليه السلام كان من الطبيعي أن يبادر أهل الشام لبيعة معاوية، وأن يبادر أهل العراق لبيعة الإمام الحسن، غير أن ابن هند كان يعلم أن للإمام الحسن مركزا عظيما في نفوس المسلمين؛ لأنه سبط النبي العظيم، وقد انتشرت الروايات في فضله وفضل أخيه، ولم يكن العدو قد شوّه صورتيهما في أوساط الناس، مقارنة بوالدهما؛ حيث كان الأمويون قد أشاعوا مسؤوليته عن مقتل عثمان، وهذا هو ما أشار

(1) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص214.
(2) الشافي للإمام عبدالله بن حمزة.
(3) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص62، وحمادة: الوثائق السياسية ص88.

إليه نصٌّ ورد لدى ابن عساكر[1] أن أهل الكوفة، وأهل العراق بايعوه «وأطاعوه، وأحبوه أشدَّ من حبهم لأبيه»، وأنهم قالوا له: «سر إلى هؤلاء القوم الذين عصوا الله ورسوله، وارتكبوا العظيم، وابتزُّوا الناس أمورهم، فإنا نرجو أن يُمَكِّن اللهُ منهم».

وبما أنّ كلَّ واحدٍ من الطرفين متمسك بموقفه، فلا بد أن تكون المواجهة حتمية، وإن كانت المواجهة تبدأ في العادة بحرب الرسائل والوعيد والتهديد، ودس الجواسيس، والاطلاع على العورات، ومكامن الضعف، وجمع كل طرف معلوماتٍ عن الطرف الآخر.

لقد دسّ معاوية رجلا من بني حمير إلى الكوفة، ورجلا من بني القين إلى البصرة، كما تقدم، واستطاع الجهاز الوقائي للإمام الحسن أن يكشف أمرهما، فأُخِذا وقُتِلا فورا، وحرّكت هذه الحادثة باب الديبلوماسية بين الطرفين، فكتب الإمامُ الحسنُ إلى معاوية يخبره أنه حين دسَّ الرجال كأنه يُحِبُّ الحرْبَ واللقاءَ، وأنه شَمِتَ بمقتل الإمام علي، وأجاب عليه معاوية بجوابِ مراوغةٍ يريد منه كسب الوقت[2]، لكن يظهر من رسالة الإمام الحسن مدى تصميمه على المنازلة، وحسم حالة البغي والتمرد والتمادي في الإثم.

ثم أرسل إليه الإمام الحسن عليه السلام كتابا اشتمل على مؤهلاته للخلافة، وحرص فيه على هدم الأصل الذي يستند إليه معاوية في الطمع بالخلافة، وذكر أنَّ قريشا اجتمعت على ظلم أهل البيت، والموعد الله، وأنه وإن توثَّب أبو بكر وعمر على حق أهل البيت، فقد كانوا ذوي فضيلة وسبق، لكن العجب من توثُّب معاوية عليهم، وهو «ابنُ حزبٍ من الأحزاب»، وليس له سابقة في الدين، وابنُ أعدى قريش للإسلام، ودعاه إلى أن لا ينازع الأمر أهله[3]، وكان جوابُ معاوية هو إشهار تهمة سب الصحابة في وجه الإمام الحسن، واعتبر نفسه فيه وريثا طبيعيا لأبي بكر، وأنه أولى من الحسن عليه السلام[4].

(1) تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص261.
(2) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص33.
(3) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص35.
(4) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص36 - 37.

ولما لم يستجب أحد الطرفين للآخر سخّن معاوية لهجة رسائله إلى الإمام الحسن متوعّدا له ومهددا إياه بالقتل على يد رعاع من الناس، بما يرجّح أن تلك المحاولات لاغتياله لاحقا على يد بعض الرعاع كانت من تدبيره، وعلى كل حال فقد دق الطرفان طبول الحرب بينهما.[1]

## 6 - إعلان الجهاد ضد القاسطين

من الطبيعي أن يسعى كلا الطرفين لحسم الموقف لصالحه، وأن يُعِدَّ كلٌّ منهما العدة للقضاء على قوة الآخر، وإرغامه على الدخول تحت طاعته، وقد تبيَّن لنا أن الإمام الحسن تحرك في الخطة التي كان قد وضعها أبوه من قبل، على كثرة الإشكالات والثغرات التي كانت تحيط بذلك الجيش، ومع ذلك فقد شكّل لجنة حشد وتعبئة من أول يوم في خلافته، وجعل على رأسها معقل بن قيس الرياحي، وشريح بن هانئ الحارثي، وعبدالرحمن بن أبي ليلى.[2]

أما معاوية الذي كان يتمتع بحالة استقرار سياسي وإداري وعسكري واجتماعي، ولديه بنية تحتية كاملة للقتال والحرب، وموازنات مالية ضخمة، وجهاز إعلامي وأمني عالي الجهوزية، فقد كانت أهبته عالية للقتال والحرب بأنواعها الباردة والساخنة، وقد كتب إلى عماله على النواحي نسخة واحدة قال فيها: «... أما بعد فالحمدلله الذي كفاكم مؤنة عدوكم، وقتلة خليفتكم، إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلا من عباده، فاغتاله، فقتله، فترك أصحابه متفرِّقين مختلفين، وقد جاءتنا كتبُ أشرافِهم وقادتهم، يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم، فأقبلوا إليَّ حين يأتيكم كتابي هذا بجندكم وجهدكم وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان».[3]

(1) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص38 - 40.
(2) الحسني: المصابيح في السيرة، ص319.
(3) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، 38 - 39.

فاجتمعت العساكر إليه، وسار قاصدا إلى العراق، ويبدو أنه تحرك من دمشق شمالا نحو منبج (شرق حلب) على رأس قوة كبيرة، تتجه شرقا نحو نصيبين فالموصل، وصولا إلى منطقة الأخيونية (شمال بغداد)[1]، ثم إلى مسكن؛ لاقتطاع المناطق الشمالية من العراق، وفي نفس الوقت أرسل عددا من القادة لمواجهة طلائع جيش الإمام الحسن في المناطق المحاذية لنهر الفرات في شرق سوريا وغرب العراق، وقد مرت في طريقها بالرقة، إلى الحديثة، وصولا إلى مناطق الأنبار ومسكن (الدجيل).

ويتبين بوضوح الانتظام والطاعة المطلقة التي كان يبديها جيش أهل الشام لأميرهم معاوية منذ حرب صفين في عهد الإمام علي، بينما نجد في المقابل أن جيش الإمام الحسن وإن بدا منه حماس وحمية بعد مقتل الإمام علي، فقد كان حماسا مؤقتا، وحمية عارضة، والدليل على ذلك أنه حين أعلن الإمام الحسن عليه السلام الحرب، وطلب منهم الخروج، سكت معظم أشراف القبائل عن التعليق والجواب على هذا الإعلان، فقد قال لهم على المنبر: «أما بعد فإن الله كتب الجهاد على خلقه، وسمَّاه كرها، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: 46]، فلستم أيها الناس نائلين ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، إنه بلغني أن معاوية بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه، فتحرّك لذلك، فاخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة، حتى ننظر وتنظروا، ونرى وتروا»، فسكتوا ولم يتكلم منهم أحد، ولا أجاب بحرف، فلما رأى ذلك عدي بن حاتم استثارهم بكلام قوي ومؤثر، ثم تبعه قيس بن سعد بن عبادة، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن صعصة التيمي، فأنّبوهم، ولاموهم، وحرّضوهم، فنشطوا عندئذٍ وخرجوا إلى المعسكر.

ثم استخلف الإمام الحسن على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وأمره باستحثاث الناس، وإشخاصهم إليه، فجعل يستحثهم، ويخرجهم حتى التأم العسكر[2].

(1) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص37.
(2) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص39 - 40.

## 7 - تشكيل الجيش وعقد الألوية

سار الإمام الحسن بن علي في عسكر عظيم، وعُدّة حسنة، حتى إذا وصل إلى دير عبدالرحمن، خارج الكوفة، أقام به ثلاثة أيام حتى اجتمع الناس، ثم أعلن تشكيلة قيادة جيشه، وتكاد تتظافر الروايات على أن الإمام الحسن عقد قيادة طلائع جيشه على عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب، على أن لا يُمْضيَ أمرا، إلا باستشارة وموافقة نائبَيه اليمنيين، قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري الخزرجي، وسعيد بن قيس الهمداني[1].

ثم أوصاه وصية عسكرية قيادية، تلوح منها مخايل خطة حربية عبقرية، قال لها فيها: (يا ابن عم، إني باعثٌ معك اثني عشر ألفا من فرسان العرب، وقراء المصر، الرجل منهم يزن الكتيبة، فسِرْ بهم، وألِنْ لهم جانبك، وابسُط وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدْنِهم من مجلسك، فإنهم بقية ثقة أمير المؤمنين، صلوات الله عليه، وسِرْ بهم على شط الفرات، حتى تقطع بهم الفرات، ثم تصير إلى مسكن، ثم امض حتى تستقبل معاوية، فإن أنت لقيتَهم فاحبِسْه حتى آتيَك، فإني في إثرك، وليكن خبرُك عندي كلّ يوم، وشاوِرْ هذين، يعني قيس بن سعد، وسعيد بن قيس، فإذا لقيْتَ معاويةَ فلا تقاتِلْه حتى يقاتلك، فإن فعل فقاتل، فإن أُصِبْتَ فقيسٌ بنُ سعد على الناس، وإن أصيب قيسٌ فسعيدٌ بن قيس على الناس، ...)[2].

وهنا أظهر الإمامُ أهمية التواصل الدائم من القيادات الميدانية بالقائد العام، وإطلاعه على المستجدات، لكن ابن عباس لم يهتم بتطبيق هذه المنهجية، وفرّط فيها، فكان عرضة لخداع وإغراءات وتهويل معاوية.

لقد كانت هذه الطلائع تتضمّن أفضل المجاهدين في العراق، وكان فيهم مَن كانوا يُسَمّون بـ(شرطة الخميس)[3]، وهم نخبة من جيش أهل العراق، كانوا قد اتخذوا علامة

(1) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص214؛ والبلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص23؛ والأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص40.
(2) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص40؛ والبلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص33.
(3) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص262.

مميِّزة لهم، وقد بايعوا أمير المؤمنين عليا عليه السلام على الموت[1]، غير أنَّ بقية جيش الإمام الحسن عليه السلام، ولا سيما الذين كانوا لا يزالون في الكوفة، والتحقوا بالإمام ومضوا معه إلى المداين، لم يكونوا على هذا النحو من الإخلاص والحماس والغيرة على دين الله.

بل كان فيهم الخوارج، الذين كانوا يرومون قتال معاوية، ليس إيمانا منهم بأحقية الإمام الحسن وبطلان معاوية، بل لتقاطع المصالح، باعتبار معاوية عدوا مشتركا بينهم وبين الإمام، ولم يكونوا أهل وعي؛ ولهذا كان معاوية يخترقهم، ويجندهم لتحقيق أهدافه في مرات عديدة، وكان في الجيش أيضا من كانوا من أصحاب المطامع، الذين يدخلون الحروب من أجل المكاسب، وهؤلاء لديهم الاستعداد للدخول في أي حرب، بغض النظر عن مشروعية الموقف الذي يكونون فيه، وربما غيروا مواقعهم، وبدلوها بنسبة 180 درجة، وكثير منهم كانوا من أتباع رؤساء القبائل، وأشراف الكوفة، وكان كل رئيس قبيلة هو المسؤول عسكريا عن قبيلته التي هي مسجّلة في ديوان الجند تحت قيادته أيضا، ومواقف هؤلاء تتغير بحسب قناعات زعمائهم وقياداتهم، كما أن هناك من كان من الحزب الأموي الذين كانوا يتربّصون الدوائر بالإمام الحسن والمخلصين معه، وكانوا يتواصلون بمعاوية سرا، وعبرهم كان يخترق جيش الإمام الحسن عليه السلام.

## 8 - استثمار معاوية في البيئة العراقية القلقة

غادر معاوية منبج (شرق حلب)، إلى شمال العراق، واكتسح الموصل ثم واصل زحفه جنوبا، حتى وصل إلى الأخيونية، وانعطف إلى مسكن[2]، ونزل عبيدالله بن العباس وجيشُه بإزائه فيها، فوجّه معاوية خيله إليه، فخرج إليهم ابنُ العبّاس، فضربهم حتى ردَّهم إلى معسكرهم[3]، وكان الإمام الحسن قد واصل طريقه حتى وصل إلى المدائن، وبينما كان الحسن في المدائن نادى منادٍ في معسكره: «ألا إنّ قيس بن سعد قد قُتِلَ»، فشدّ الناسُ

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص164.
(2) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص37.
(3) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص41 - 42.

على حجرة الحسن فانتهبوها حتى انتُهِبَتْ بُسُطُه، وأخذوا رداءه من ظهره[1].

وعلى هذا النحو بدأ معاوية في اللعب بعقول العراقيين، ويبدو أن فصيلا من جيش الإمام الحسن كان قد توجه غربا على شط الفرات، حتى نزل الرقة، واشتبك هناك مع بعض تشكيلات معاوية العسكرية[2]، وهذا يعني تشتت قوة الإمام الحسن التي هي في الأصل مشتتة النفسيات ومتعددة الاتجاهات، وقليلة العدد، مقارنة بما حشده معاوية، الذي كان يبلغ جيشه عشرة أضعاف جيش الإمام الحسن.

ومع ذلك فقد أدرك معاوية أنه لن يستطيع حسم المعركة عسكريا، وأنه يشقُّ عليه ذلك؛ ولهذا لجأ إلى أسلوبِه المفضَّل، وهو الاستثمار في البيئة القلقلة والشاكَّة التي كانت تخيِّم على أهل العراق، فاستعمل عددا من أساليب الخداع والمخاتلة والغدر والخيانة، وشراء الذمم، وبث الأراجيف والأكاذيب، وضرب معنويات كثير من المنتسبين للجيش العراقي، والتي هي في الأصل مضروبة إلا عند المخلصين منهم، والمخلصون كانوا قلة في وسط محيط كبير لم يتمتع بأي يقين حول قضيته التي كان يقاتل من أجلها؛ نتيجة تقصيره في تفهُّم هدى الله، وعدم التسليم لأعلام الهدى.

لقد شنّ معاوية وآلته الإعلامية والأمنية حربا ضروسا إعلامية ونفسية وناعمة على جيش الإمام الحسن، فأغرقه بهذه الأنواع من الحروب الخطيرة ، ومنها أنه:

1 - **بثَّ الجواسيس**، ونشر العيون داخل مجتمع العراق؛ ليُطْلعوه على كل صغيرة وكبيرة في هذا المجتمع، من نقاط قوته، ونقاط ضعفه، وكانت الأخبار تأتيه أولا بأول، وعلى ضوئها كان يتخذ قراره.

2 - **أغرق معسكر وأصحاب الإمام الحسن بالإشاعات والتشكيك** في مواقف بعضهم، ومنها:

أ - أنه بثَّ إلى جانب أولئك الجواسيس مَنْ كانوا يشككون في المواقف، ويذيعون التخويف والإرهاب، وينشرون التخذيل والتثبيط، وكانوا يقولون للناس: «إن الحسن يكاتب معاوية على الصلح فلِمَ تقتلون أنفسكم»[3].

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص264.
(2) الحسني: المصابيح في السيرة، ص319.
(3) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج1، ص91.

ب - أنه كان يشيع وهو لا يزال في الشام أن أشراف العراق وزعماء القبائل يكاتبونه، ويستعدون للانضمام إليه، وكانت تصل هذه الأخبار إلى أهل العراق، والواقع أنَّ هناك فعلا مَنْ كان قد كاتبه حتى في عهد الإمام علي عليه السلام، ومنهم مَنْ لحق به أيضا[1]، ومنهم من أُمِرَ بالبقاء في جيش العراق ليكون السوسة التي تنخر الجيش العراقي من داخله، ثم إذا التقى الصفان أعلنوا انضمامهم إلى معاوية، وإذا تسنى لهم أن يقبضوا على الإمام الحسن ويسلموه إلى معاوية، فعلوا ذلك، ومع ذلك فقد كان معاوية وفريقه الإعلامي الضخم والمنظم يضخّمون المسألة، ويشنون من خلالها حربا نفسية على معسكر الإمام الحسن عليه السلام وقياداته.

ج - وممّا قام بهم أولئك الجواسيس الذين كانت مهمتهم نشر الإشاعات، والشكوك، والأخبار المزعزعة، والمقلقة، أنه بينما كان الإمام الحسن عليه السلام في المدائن، «إذ نادى منادٍ في عسكره: ألا إنّ قيسَ بن سعد قد قُتِلَ»، وتنكير المؤرّخين للمنادي يدل على أنه غير معروف، وهذا يبين طريقة معاوية في نشر الأراجيف وسط جيش الإمام الحسن من خلال أشخاص غير مشهورين في بيئة هي أصلا ممتلئة بالشكوك وعدم اليقين، وهذا ما فتّ في أعضاد الجيش، وجرَّأ الناهبين واللصوص للقيام بنهب الإمام الحسن عليه السلام، بل وجرّأهم على محاولة اغتياله[2].

د - شنّ حربا نفسية مؤثرة وخطيرة على قيادات الجيش العراقي، فقد أرسل معاوية إلى عبيدالله بن العباس في إحدى الليالي يخبره أن الإمام الحسن عليه السلام قد راسله في الصلح، وأنه مسلِّمٌ الأمرَ له عمّا قريب، وأنَّ من الخير له أن يسارع في الانضمام إليه قبل فوات الأوان[3]. ثم أرسل إليه وإلى أصحابه عبدالرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس يخبرهم أن كُتُبَ الحسن قد وردت يطلب فيها الصلح، وأنه قد أَمَرَ أصحابه بالكف عنهم، وأن لا يَعْرِضوا لهم حتى يفرُغَ ممَّا بينه وبين الإمام الحسن عليه السلام[4].

(1) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج3، ص104، 175 - 176.
(2) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص262؛ والشرفي: اللآلي المضية، ج3، ص21.
(3) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص42.
(4) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص37.

هـ - كان يدس في معسكر الإمام الحسن عليه السلام في المدائن مَنْ يتحدَّث أيضا أن قيس بن سعد قد صالح معاوية، ويوجِّه في نفس الوقت إلى معسكر قيس بن سعد في مسكن من يذيع أن الحسن عليه السلام قد صالح معاوية[1]، وكان بهذا يشكك الجميع في الجميع.

و - كان أيضا يكتب إلى رؤوس مَنْ كان مع الإمام الحسن بن علي عليه السلام في المدائن أنَّ قيس بن سعد قد بايعني، وجعل يوزِّع لكل منهم المغريات، ويمنحهم صكوكا بتمليك الأراضي الواسعة إذا التحقوا به[2].

ز - وجّه المغيرةَ بن شعبة، وعبدالله بن عامر بن كريز، وغيرَهما، إلى الإمام الحسن في المدائن تحت عنوان أنهم (سفراء صلح)، وكلّفهم أنهم حين يخرجون من عنده يشيعون أخبارا مغرضة، وبالفعل لمّا خرجوا من عند الإمام، مضوا من بين المعسكر وهم يقولون: «إن الله قد حقن بابن رسول الله الدماء، وسكن به الفتنة، وأجاب إلى الصلح، فاضطرب أمر العسكر، ولم يشك الناس في صدقهم، فوثبوا بالإمام الحسن، ونهبوا مضاربه[3].

ح - لقد أرهق معاوية جيش الإمام الحسن الذي كان يعوزه الشك، ويعيبه عدم التسليم لقيادته، وقلة الوعي، وضعف البصيرة، بهذه الأساليب القاتلة، وبثّ كثيرا من الإشاعات والأراجيف المثبِّطة، والمشككة، ووجّه عددا من اللجان التي كانت تتظاهر بالسفارة للصلح، وكان مقصدها الأول والأخير بث الإشاعات المغرضة التي هدفت إلى ضرب اللحمة الداخلية التي كانت في الأصل ضعيفة، في ذات الوقت الذي لم يكن يوجد في جيش أهل العراق أمنٌ وقائي قوي، ولم تكن لديهم كفاءة إعلامية مقاوِمة بمستوى التحدي الكبير، وبسبب هذا تمّ نخر جيش الإمام الحسن من الداخل، قبل أن يواجهه معاوية عسكريا؛ الأمر الذي جعل هذا الجيش القلق والمتفكّك أصلا يحوِّل مساره من حسم

(1) الشرفي: اللآلي المضية، ج3، ص26.
(2) الحسني: المصابيح في السيرة، ص320.
(3) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص214؛ والشرفي: اللآلي المضية، ج3، ص26.

تمرّد معاوية إلى استهداف الإمام نفسه، فكانت محاولات الاعتداء عليه، ونهب مضاربه، ثم محاولة اغتياله في مظلم ساباط[1]، وجراحته الجراحة الشديدة[2].

ط - شكّل معاوية جهازا إعلاميا وتثقيفيا كبيرا، كان يعمل معه ليل نهار، وكان يشرف عليه بنفسه، وكان عماده القُصَّاص والواعظين الذين يعملون على نشر أفكار معاوية وآرائه، وقد ذكرت كتب التاريخ أن معاوية شخَصَ من بلاد الشام إلى العراق مصطحبا معه قُصّاص أهل الشام وقراءَهم، حتى قال شاعره:

من جسر منبج أضحى غب عاشرة *** في نخل مسكن تتلى حوله السور[3].

وقد تركت هذه الموجات والحملات الخطيرة اضطرابا فظيعا، وخوفا بالغا في النفوس، وأحدثت تمردا شاملا في جميع الوحدات العسكرية.

3 - **شراء الذمم:** فتك معاوية بقادة أهل العراق؛ فقد اشترى منهم ضمائرهم الرخيصة، وبذل لهم أموالا ضخمة، وأقطعهم الأراضي الواسعة، ومنّاهم بالوظائف والمراتب، فأجابوه إلى ذلك، وتسللوا إليه، والتحقوا به، وإذا كانت هذه الرشاوى قد وصلت إلى قادة الجيش الأساسيين، كعبيدالله بن العباس، وقيس بن سعد، وهذا الأخير رفضها[4]، فإنها بلا شك قد فعلت فعلتها في القادة الذين هم أقل منهما مرتبة، ومن هنا أدرك قيس أن معاوية لم يتجرّأ على إغرائه إلا بعد أن أغدق الأعطيات والرشاوى على كثير من القادة والزعماء الآخرين الأقل رتبة منه، ثم انتهى بهم الحال إلى أن كان وجوههم يأتون معاوية ويتسللون إليه فيبايعونه، وكان أول من أتاه منهم خالد بن معمّر، وبايعه عن ربيعة كلها، وقد صرّح الإمام الحسن قائلا: (وقد أتاني أنَّ أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية فبايعوه)، وكانوا يتوجهون إلى معاوية قبيلة بعد قبيلة[5].

4 - **وكانت خيانة عبيدالله بن العباس قاصمة ظهر البعير**، وهو الذي اختاره الإمام؛ لأنه أولا من الناحية العقائدية والإيمانية كان له سابقة إسلام ودين وإيمان وجهاد،

(1) ساباط: قرية بقرب المدائن. والمظلم: ممر مظلم تعلوه جسور فوقها دور من دور هذه القرية.
(2) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص215.
(3) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص42.
(4) الحسني: المصابيح في السيرة، ص319.
(5) الحسني: المصابيح في السيرة، ص320؛ والكوفي: الفتوح، ج4، ص157؛ والبلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص37.

وكان من ثقات أمير المؤمنين، وكان واليا على اليمن ثانيا، ولأنه كان موتورا على معاوية؛ إذ ذبح قائده بسر بن أرطأة طفليه قثم وعبدالرحمن في صنعاء على المصحف، أمام ناظري أمهما المدانية، وهذا يُفْتَرَضُ أنَّ عبيدالله بكل المعايير كان مُحَصَّنًا من أي اختراق.

لكن عبيدالله فرَّط وخان إمامه والمسلمين من أجل متاعٍ فانٍ من الدنيا، بسبب: 1 - عدم تفعيل التواصل بقيادته، 2 - وعرّض نفسه للحرب النفسية التي شنّها معاوية، ثم حصلت مفاوضات بالسر بينهما، 3 - ونتيجة التخويف والترهيب، والإغراء والترغيب، 4 - ونتيجة للوضعية التي كان قد وصل إليها الحال بشكل عام، 5 - ولعلَّه كان قد صدّق بأنَّ الإمامَ الحسَنَ نفسَه يراسله من أجل الصلح، 6 - وهذا يبيِّن خطورة عدم معرفة أعلام الهدى، وعدم التسليم لتوجيهاتهم، والاجتهاد بعيدا عنهم، فأرسل إليه معاوية يبذل له ألف ألف درهم (مليون درهم)، مقابل أن يلتحق به[1]، فما لبث أن انسلّ عبيدالله إليه تحت جنح الليل، فأصبح الناس ينتظرون أن يخرج ليصلي بهم الفجر، فلم يجدوه، فصلّى بهم قيسُ بنُ سعد، ثم خَطَبَ فيهم فقال: «أيها الناس لا يهولنَّكم، ولا يعظمَنَّ عليكم ما صنع هذا الرجل الوَلِه الوَرِع (أي الجبان)»[2].

وكان معاوية يؤمّل بشراء ذمة عبيدالله، أكبر قيادات جيش الإمام الحسن، أن ينهار جيشُ الإمام الذين كانوا تحت قيادته وقيادة نائبه قيس بن سعد، لكنهم كان فيهم نخبة (شرطة الخميس)، وهم أصلب جيشه عودا، وأقواه عزيمة، وسرعان ما تفاجأ معاوية بأنه حينما أرسل عليهم حملة عسكرية بقيادة بسر بن أرطأة، وافوهم وهم على تعبية وجهوزية عالية؛ بل استطاعوا أن يُلْحِقوا بجيش معاوية هزيمة منكرة، يوما إثر آخر[3].

لقد كانت خيانة عبيدالله طعنة نجلاء في جسد جيش وقوة الإمام الحسن؛ لكونه المسؤول الأول في الجيش، بعد الإمام الحسن، أولا، ثم لكونه من أقارب الإمام الحسن وبني هاشم ثانيا، وهذا ما جرّأ آخرين على سلوك نفس الطريق، ولهذا كانت خيانة عبيدالله لا توارَى شناعة من رجل كان يفترض به أن يكون

(1) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص214.
(2) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص42.
(3) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص37.

موتورا، وأن يحمل شيئا من ذرات الكرامة والعزة والغيظ والغضب على من ذبحوا ابنيه بسكاكين الحقد والجاهلية في صنعاء، لكنها الدنيا أعمت عينه، وسلَبَتْه سابقته.

## 9 - اضطراب الجيش المضطرب أصلا

ولا شك أن وصول هذا الخبر إلى الإمام ملأ قلبه بالآلام، وقرّبه إلى اليأس من الظفر والنصر بمثل هذه الأمة المتذبذبة، وبمثل هؤلاء القادة الخونة، بل إن جيشه المرابط معه في المدائن، والذي كان ينقصه الكثير من المجاهدين الواعين، لمّا علم بخيانة عبيدالله، والتحاقه بمعسكر العدو، ارتطم في الفتنة، وماج في الشر، واستولى عليه الذعر والخوف، وأخذ أكثر قادته يلتمسون الطرق للاتصال بمعاوية والظفر بأمواله، ثم عدوا عليه وانتهبوه، وحاولوا فيما بعد قتله.[1]

لقد كان هذا الجيش مع الإمام الحسن هو نفس الجيش الذي كان مع والده، وهو الذي كان قد ملأ قلب أبيه قيحا، حتى أنَّ الإمامَ الحسن لم يَرَ فيهم ألفَ رجل مخلصا يمكن الاعتماد عليهم في مواجهة عشرات أضعافهم من المخلصين لمعاوية الجادّين في القتال معه، وقد روي أن الإمام الحسن قال لأخيه الحسين وقد أجمع أمره على الصلح، قال له: (إنك ترى ما نقاسي من الناس، وما كان يقاسي أبوك منهم من قبلنا، حتى كان يرغب إلى الله في فراقهم كلَّ صباحٍ ومساءٍ، ثم قد ترى ما قد صنعوا بي، أفبهؤلاء نرجو أن نُدْرِكَ حقَّنا).[2]

إنَّ ضعف معنويات الجيش العراقي، وضعفَ وعيِ أتباعِ حكومة الإمام علي لم يكن وليد لحظته، وليس بسبب تقصير أمير المؤمنين في دوره الإرشادي، والتعليمي، والتعبوي، والتأهيلي، بل يرجع إلى المدة السابقة، حينما تعرَّضَتْ الأمة لاختراقٍ ثقافيٍّ وسياسيٍّ مبكر، وسيادة مفاهيم وثقافات خاطئة على وعي الناس، منذ ما بعد رحيل رسول الله عنهم، ونتيجة للبعد عن مصادر الهداية، وأعلام الهدى، وهذا يستدعي الالتفات للحالة التي أوصلت إلى هذه النتيجة.

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج2، ص95.
(2) الشرفي: اللآلي المضية، ج3، ص30، نقلا عن الحاكم في السفينة.

لقد حصل بعد استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام تفاعلٌ عاطفي بين أصحابه، استغله الإمام الحسن عليه السلام، فاستنفر الناس لمواصلة الجهاد في سبيل الله، لكنه بعد مضي مدة بدأ منسوب العاطفة الجياشة والانفعال والحماس يتراجع وينخفض، وبدأت العوامل السابقة التي أضعفتهم في عهد الإمام علي تعود للحضور بقوة، وجيشه هذا لم يكن على عقيدة قتالية واحدة، كما تقدم، ولم يسلّم لهذا الإمام وهذا القائد تسليما مطلقا.

وحينما تواجه جيشا معاوية والإمام الحسن في مسكن، حاول معاوية أن يستغل حالة الضعف والتشتت والخلاف في جيش الإمام الحسن وتقبُّلهم لأي دعاية، وحرك حربه الناعمة والنفسية، واستثمر في نفسيات أهل العراق المضطربة، فتركت هذه الموجات المتنوعة من الحرب اضطرابا فظيعا وخوفا بالغا في النفوس، وأحدثت تمردا شاملا في جميع الوحدات العسكرية.

## 10 - محاولة اغتيال الإمام نفسه

كل ما سبق جرّأ الأوباش على محاولة اغتيال الإمام الحسن عليه السلام، وليس من المستبعد أن تكون هذه الخطوة تنفيذا لما سبق وأن هدَّدَ به معاوية، مِنْ قَتْلِ الإمام الحسن على يد الغوغاء من الناس، فقد راسله كثير من أشرافهم ووجوههم البارزين برسائل متعددة، أعربوا فيها عن استعدادهم للفتك بالإمام متى طُلِبَ منهم، أو تسليمهم إياه إليه سرا أو جهرا، ثم بعث معاوية بهذه الرسائل إلى الإمام الحسن؛ ليُطْلِعَه على خيانة جيشه له، ولكي يعمل على إزهاق أية ثقة يمكن أن تبْقَى بين الإمام وأطرافٍ كثيرة من جيشه، ولكي يوصلهم وإياه إلى نقطة اللاعودة.

بل وبدأَتْ علاماتُ تلك الخياناتِ بما ظهر منهم في المدائن من انحطاط نفوس وخسة طباع، حينما بدأ بعضُهم بنهب بعضهم الآخر، ولم يكتفوا بذلك بل عَدَوا إلى أمتعة الإمام وأجهزته فنهبوها، ثم تطوّر موقف الملتحقين بالجيش من الخوارج بأن كفَّروا الإمام الحسن عليه السلام، وقد انبرى له أحدهم، وهو الجرّاح بن سنان

الأسدي، في مظلم ساباط، وأراد قتله قائلا له: «الله أكبر، يا حسن، لقد أشركْتَ كما أشرك أبوك من قبل»، وليس بعد التكفير إلا القتل والاغتيال؛ لأنه الحامل الفكري والثقافي على فعل الجريمة، وهجم على الإمام فطعنه في فخذه بمعولٍ كان بيده، فضربه الإمام بسيفه، واعتنقه، وخرَّا جميعا إلى الأرض، وقَبَضَ الإمامُ الحسن على لحية الجراح، فلواها، ودقَّ عنقه[1]، ووَثَبَ عبدالله بن حنظل الطائي، فنزع المعول من يد الجرّاح، وخضخضه به، ونجا الإمامُ بعد أن جُرِحَ جرحا بليغا في جسده[2]، لكن الجرح المعنوي والنفسي كان أبلغ أثرا، وأشدّ مضاضة عليه.

وحين تصل المؤامرة إلى أكبر هرم في السلطة، وتنال من حياته في أشد المراحل حرجا، وأكثر مراحل التاريخ خطورة، فإن هذا يعني أن الطرف الآخر أصبح يمسك بزمام الأمور، ويتحكَّم في مجريات الأحداث، والحقيقة المُرَّة هي القول بأن معاوية استطاع أن يحارب الإمام الحسن من داخل جيشه العراقي هذا الذي كان مثخنا بالإحباط والشكوك والتفرق والتشتت وعدم التسليم للقيادة، قبل أن يحاربه بجيشه الشامي الذي كان قيس بن سعد ومن معه من المستبصرين قد استطاعوا أن يتصدوا لإيقاف زحفه على العراق لأكثر من أربعين ليلة، بل وأن يُلْحِقوا به الهزيمة تلو الأخرى[3].

## 11 - مرض الإمام الحسن وتفرق الناس عنه

نُقِلَ الإمامُ الحسنُ إلى المدائن محمولا ومتأثِّرًا بجراحته التي أصيب بها في محاولة الاغتيال الفاشلة، وقد نزف نزفا شديدا من جراحته، واشتدت به العلة، فافترق عنه كثير من الناس[4]، وعلى الرغم من فشل هذه المحاولة في قتل الإمام الحسن عليه السلام لكنها قتلت معنويات العراقيين، وألحقت بروحيتهم خسارة كبيرة.

ثم بينما كان الإمام الحسن على كرسي المرض يعالَج لمدة شهرين، كان معاوية مستمرا في إدارة معركة ضروس ضده، وشن حرب نفسية، وإعلامية، وحرب ناعمة

(1) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص214.
(2) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص41؛ والقرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج2، ص1030 104.
(3) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص50.
(4) الشرفي: اللآلي المضية، ج3، ص26.

بالأمـوال والإغـراءات، وتحريـك الخلايـا، وتجهيـز القـوات المهاجمـة كتيبـة بعـد أخـرى، وفي نفس الوقـت كان يضغـط علـى الإمـام الحسـن بالقبـول بالصلـح، وحينهـا بـدا المشـهد واضحـا للعيـان أن الإمـام الحسـن ومـن بقـي معـه مـن المخلصـين ذاهبـون إلى هزيمـة لا تبقـي فيهـم أحـدا ولا تـذر.

لمـا جُـرِحَ عليه السلام قـال لأهـل العـراق: (قتلتـم أبي بالأمـس، ووثبتـم علـيّ اليـوم تريـدون قتلـي، زهـدا في العادلـين، ورغبـة في القاسـطين، واللـه لتعلمُـنَّ نبـأه بعـد حـين)، ومـرض شـهرين في المدائـن، ثـم خـرج فخطـب فيهـم وقـال: (يـا أهـل العـراق، اتقـوا اللـه فينـا؛ فإنـا أمراؤكـم وضيفانكـم، وأهـل البيـت الذيـن سـمّى اللـه في كتابـه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: 33][1].

ومـن الواضـح جـدا أن كـثرة التمـردات، وضعـف وانعـدام الوعـي عنـد كثـير مـن المقاتلـين العراقيـين، وعـدم التسـليم والإخـلاص لإمامهـم، أوجـدت كثـيرا مـن الثغـرات الأمنيـة، والتـي أتاحـت للأعـداء الوصـول إلى اسـتهداف الإمـام نفسـه، وباتـت أجهـزة الحراسـة الشـخصية والأمـن الوقـائي والإعـلام في جبهـة الإمـام الحسـن مشـلولة عـن أي عمـل، وعـن تفـادي أيـة نتائـج كارثيـة؛ وهـذا إن دل علـى شيء فإنمـا يـدل علـى خطـورة حالـة اللايقـين، والشـك، وفتـح الآذان لدعايـات الأعـداء، وعـدم التثبـت في الأخبـار، وتداولهـا بشـكل فوضـوي، وعـدم التسـليم والعـودة لأعـلام الهـدى.

وبهـذا يتضـح أنـه بينـما كان الإمـام مريضـا إثـر الطعنـات التـي تلقاهـا مـن ذلـك الخارجـي في مظلـم سـاباط، كان معاويـة يزحـف علـى العـراق، ويفـرض واقعـا جديـدا، فلـما رأى الحسـن أن لا قـوة بـه، وأن أصحابـه قـد افترقـوا عنـه، صالحـه، وصعـد المنـبر، فحمـد اللـه، وأثنـى عليـه، وقـال: (أيهـا النـاس، إنَّ اللـه هداكـم بأولنـا، وحَقَـنَ دماءكـم بآخِرِنـا، وقـد سـالَمْتُ معاويـة، وإن أدري لعلـه فتنـة لكـم ومتـاع إلى حـين)[2].

(1) الشرفي: اللآلي المضية، ج3، ص22.
(2) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص215.

# المبحث السادس: صلح الإمام الحسن عليه السلام (هدنة مشروطة)

## أولا: الصلح هو الخيار الأفضل والمتاح

بعد أن وصلت الحالة إلى النحو الذي أشرنا إليه في ما مضى، كان في انتظار الإمام الحسن عليه السلام ثلاثةُ خياراتٍ، إما خيار الحرب ثم الهزيمة المرجّحة بها والتي سوف تسحق أهل البيت سلام الله عليهم وشيعتهم في ظرفٍ سيٍّءٍ جدا لا يعطيهم أي تعاطف ولا تؤثر من كثير من الآخرين، من حيث أن معاوية كان لا يزال أمره مستورا، ولم يكن قد ظهر بمخالفات كثيرة على الأمة، ولم يكن يعرف فجوره إلا القلة القليلة، وها هو ذا قد دعا إلى الصلح، وبذل فيه استجاباتٍ مهمة جدا، وقد نشر بين المعسكرين أنه يمد يد الصلح، وأنه لا يريد الحرب، وأنه مع السلام ومع حقن الدماء، ولعب لعبة ماكرة مضت في عقول الناس، وتردَّدَتْ في أقوالهم، فحين يُصِرُّ الإمامُ الحَسَنُ على الحرب التي يعلم سلفا أنها خاسرة، إنما يُعْتَبرُ ضربًا من الانتحار الذي لا يُمْكِنُ لأحدٍ أن يتعاطف معه، لا سيما وقد صوّره معاوية بصورة المعاند المُسْتقْتِل، وسيصل معاوية إلى روحه سريعا من خلال تجنيد أهل الأطماع والذين ظهروا كثيرا في الجيش العراقي، وبهذا يكون دم الإمام الحسن وشيعته قد طُلَّ في معركة خاسرة لا أحد يتعاطف معه فيها، ويُقْتَل معه البقية الباقية من المؤمنين الصالحين المجاهدين الصادقين، وينتهي كل شيء، ويخلو الجو لمعاوية؛ ليغيِّرَ كلّ شيء من الدين، ولا يقف بوجهه أحد.

الخيار الثاني هو الانسحاب وترك المعركة بشكل مفاجئ، بدون انتصارٍ ماديٍّ، ولا اتفاقيةٍ مُعْلَنة، وهذا أيضا سوف يجعل سيفَ معاوية مُصْلَتًا على رقابِ محبِّي أهل البيت والعراقيين ومَنْ شاركوا في حرب صفين، إنه سيدخل بدون مقاومة إلى العراق

فيعيث فيه فسادا، وستكون دماءُ الجميع هدرا، وذلك يعني أن بلادهم فُتِحَتْ عنوة، وأنهم لا زالوا متمردين، وسوف لن يفلت الحسن ولا أهل بيته من التنكيل.

الخيار الثالث هو الدخول في مفاوضات الصلح بالبنود التي ستأتي، والتي ستضمن الحصول على مجموعة من المكاسب المعنوية والمادية، والتي أهمُّها الإبقاءُ والحفاظ على من بقي من أهل البيت ومحبيهم، والذين سيكون لهم دور ثقافي تحتاجه الأمة في مقابل نشاط معاوية التضليلي، ويضمن أن يوضح للأمة من هو معاوية وأي علاقة تربطه بهذا الدين.

هذا السيناريو الأخير يعني تسليم السلطة السياسية الزمنية لمعاوية، السلطة التي تأتي وتذهب، وليس تسليم الأمة وكل من في الأمة لمعاوية؛ ومن هنا ذهب الإمام عليه السلام إلى هذا النوع من التسوية؛ لحفظ الجماعة التي ستحفظ الإسلام، وتنشره، وتدعو إليه، الجماعة التي ستهيئ الأرضية من جديد للثورة والمعارضة والجهاد وإحياء الأمة، وهذا ما كان يشرحه الإمام عليه السلام لأتباعه، ويقول لهم: (ما فعلت هذا إلا لأبقي عليكم).

يقول الشهيد القائد السيد حسين بدر الدين الحوثي رضوان الله عليه: «تحرَّك الإمامُ الحسن ليواصل المسيرة, مسيرة والده الإمام علي، فآل الحال إلى أن يَقِفَ مقهورًا، ويأخُذَ ما يمكن من الشروط لتأمينِ مُجْتَمَعِ أهلِ العراق، عندما تخاذل أصحابُه»[1].

وهكذا يتبين أن خيار الموادعة المؤقتة والمشروطة كان هو الخيار المتاح والأفضل، بجميع المقاييس والمعايير.

## ثانيا: أسباب الصلح

من خلال ما سبق يتبين لنا مجموعة من الأسباب والعوامل التي ساقت الإمام الحسن عليه السلام إلى قبول الموادعة والصلح المؤقت، ولا بأس بإعادة التذكير بأهمها، حتى تتفاداها الأمة في حاضرها ومستقبلها، ومنها:

(1) في ظلال دعاء مكارم الأخلاق، الدرس الأول، ص11.

## 1 - تفكُّك وضعف وتمرُّد الجيش العراقي:

مُنِيَ الجيش العراقي آنذاك بالضعف والتفكك والتمرد منذ عهد الإمام علي عليه السلام بسبب:

**أ-تضارب الحزبية فيه: ففيه:**

-الحزب الأموي، وهؤلاء هم أبناء الأسر البارزة الذين لا يهمهم سوى الزعامة الدنيوية، والظفر بالمال والسلطان، كعمر بن سعد، وقيس بن الأشعث، وعمرو بن حريث، وحجار بن أبجر، وعمرو بن الحجاج، وهؤلاء قد وَعَدُوا معاويةَ باغتيالِ الإمامِ أو بتسليمه له أسيرًا حين يحين الأوان.

-الحزب الحروري، وهذا الحزب قد دخلوا في جيش الإمام الحسن لمجرد تقاطع المصالح باعتبار أن معاوية كان عدوا للجميع في الظاهر، مع أنه (أي معاوية) كان يخترقهم ويجندهم في الوقت الذي يريد.

-ويضاف لذلك أن هناك مجموعة كبيرة منه كان موقفها موقفا سلبيا في قضية الإمام الحسن عليه السلام؛ لأنها لا تفقه الأهداف الأصيلة التي يَنْشُدُها الإمام، ولا تتمتع بالوعي الكامل.

-ولم يعد بعد ذلك من يناصر الحكومة الإسلامية سوى الفئة الواعية والمخلصة، كأمثال القائد قيس بن سعد، وسعيد بن قيس، وعدي بن حاتم الطائي، وحجر بن عدي، ورشيد الهجري، وحبيب بن مظاهر، وأضرابهم من تلامذة أمير المؤمنين عليه السلام، وهم الأقلية عددا، والذين لم يكن باستطاعتهم أن ينتشلوا الحكومة من الأخطار الحافة بها، فإنهم لو كانوا كثرة في الجيش لما اضطر الإمام أمير المؤمنين إلى قبول التحكيم، ولما التجأ الإمام الحسن إلى الصلح.

**ب- السأم من الحرب:** كانت جمهرة أهل الكوفة قد ملوا وسئموا الحرب، ولا رأي لملول، وضاعف ذلك سببان: الحروب المتتالية، واليأس من الغنائم، وهذا الداء العضال كان قد لحقهم منذ أيام الإمام علي، فهو عليه السلام الذي كان قد قال لهم: (لقد سئمت عتابكم، أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة عوضا، وبالذل من

العز خَلَفًا، إذا دعوْتُكم إلى جهاد عدوكم دارَتْ أعينُكم كأنكم من الموت في غَمْرَة، ومن الذهول في سَكْرَة)، ولما آلَ الأمرُ إلى الحسن عليه السلام ظهر ذلك بأبشع الصور؛ فإنه لمَّا عرض عليهم دعوة معاوية للصلح، ارتفعت أصواتُهم وهم يهتفون: (البقية البقية).

إن هذه الوضعية ليستْ بنتَ لحظتها، فقد تراكمتِ الأخطاءُ الثقافيةُ، والفكريةُ، منذ أول انحرافة وقَعَتْ في هذه الأمة، وعلى إثرها تم تغييب الإمام علي من الساحة، وتهميش دوره، وعليه فقد تم تغييب وتهميش القرآن والحق معه، وهناك قُدِّمَتْ ثقافات ومفاهيم أخرى تناوئ ثقافة الحق، والقرآن، والخير، وقدم لها أعلام آخرون، وهذه الوضعية بدورها أنتجت أمة لا تعنى بمسؤوليتها الدينية، ويهمها الحصول على المناصب والأموال، ولا سيما وقد انخرط كثير من كبار الصحابة في هذا الجو المادي المؤسف، وحليت الدنيا في أعينهم، وراقهم زبرجها، واطمأنوا إليها، وعادَوا ووالَوا من أجلها، وليس من أجل الله.

هذه الأجواء حاصرَتْ وهمَّشَتْ دورَ الإمامِ عليٍّ، وثقافته القرآنية النبوية التصحيحية التي كان يحملها، ولم تعد تتقبل طريقته، ومنهجيته، وحين تحرك ليعيد الأمة إلى ما كانت عليه أيام الرسول صلى الله عليه وآله لم يستسغ ذلك منه الكثيرُ من الصحابة ذوي الامتيازات الخاصة، وهنا برزت تلك الساحة غير قابلة للعظماء، ولا مُهَيَّأة للقبول بالحق، وقد أشار هو عليه السلام إلى تلك الوضعية عند بيعته بقوله: (دعوني والتمسوا غيري؛ فإنا مستقبِلون أمرًا له وجوهٌ وألوانٌ، لا تقوم له القلوب، ولا تثبُتُ عليه العقول، وإنّ الآفاقَ قد أغامَتْ، والمَحَجّة قد تنكّرَتْ، واعلموا أني إن أجبْتُكم ركبْتُ بكم ما أعلم، ولم أُصْغِ إلى قول القائل، وعتب العاتب)[1].

ولما تولى الإمام عليه السلام الأمر، وواجهَتْهُ قوى النفوذ والطبقة الأرستقراطية المستفيدة من وضعية التمييز والفساد والانحراف في عهد عثمان، بل وخاضت ضده جولات من الحرب، فكانت معركة الجمل بين المشروع القرآني من جهة، وأصحاب

(1) أبو عواضة: من حياة الإمام الحسن عليه السلام، ص84.

الامتيازات والسلطة والثروات غير المشروعة من جهة أخرى، وانتهت جولات ذلك الصراع بخدعة التحكيم في صفين، وانقسم جيشُه إلى قسمَين، ممّا اضطر أمير المؤمنين أن يوقف الحرب، ويحكّم.

ثم فرض هؤلاء القاصرون في وعيهم محكّما غير مؤتمَن عن أهل العراق، وكان معروفا عنه عدم الإخلاص للإمام علي، وحكومته، وهو أبو موسى الأشعري، فاضطر الإمام لقبوله، وقد قال الإمام حينها: (لقد كنْتُ أمس أميرا، فأصبحْتُ اليوم مأمورًا، وكنتُ أمس ناهيا، فأصبحْتُ اليوم منهيا). ثم تتوّجَتْ تلك النكسات بخداع ابن العاص لأبي موسى، وبدلا من اتعاظ قليلي الوعي أولئك، وعدم تكرار الخطأ، والمبادرة إلى التسليم لعلم الهدى، فقد ارتكبوا غلطة أكبر من الأولى، وهي أنهم كفّروا أنفسهم، وكفّروا الإمام عليا بقبولهم التحكيم، وتوليتهم أبا موسى، وطلبوا من الإمام علي أن يرجع معهم من الكفر إلى الإيمان، والعودة لجهاد معاوية وأصحابه.

لقد أوضح لهم الإمامُ أن هذا ليس كفرا، وإنما هو خطأ تكتيكي ارتكبوه هم، وأن تحكيمهم للحكمين مقيّد بأن يحكموا بالقرآن الكريم، وأنهم إذا لم يلتزموا به فلا شرعية لحكمهم، لكن ذلك كان دون جدوى، بل اضطروه لخوض معركة معهم، وتحييد أكبر عدد منهم، بعد أن أخلوا بالأمن العام، واعترضوا الناس، وقتلوا من عثروا عليه ممَّن يتولى الإمام عليا، بل وبقروا بطونَ النساء، فكانت معركة النهروان التي هُزِموا فيها.

لقد تركت معركة النهروان جراحا وندوبا كبيرة جدا في الجسد العام للعراقيين؛ لأن أغلب القتلى في معركة النهروان، كانت عائلاتهم، وقبائلهم، وعشائرهم، تعيش في العراق، وفي الكوفة، وكانت القرابة والعائلية والعشائرية قوية، وتتأثر بذلك.

عمل أمير المؤمنين في الأشهر الأخيرة من حياته الشريفة على تحضير القوات والجيوش للمضي باتجاه الشام، وحسم المعركة مع معاوية؛ لأن تكليفه الشرعي كان

يوجب عليه أن لا يسكت على هذه البؤرة الكبيرة والخطيرة؛ باعتبارها غدة سرطانية تتهدد الإسلام والمجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية. لكن للأسف الشديد في الأشهر الأخيرة كانت هناك مجموعة عوامل جعلت الاستجابة للإمام علي عليه السلام في أوساط ذلك الجيش وأولئك الأتباع ضعيفة، وأن لا يحصل تفاعل بالشكل المطلوب، بالرغم من تلك الخطب البليغة، التي كان يستنهضهم بها الإمام علي عليه السلام، ومن تلك العوامل: 1 - كثرة الشهداء والجرحى في الحروب السابقة. 2 - الخلافات والانقسامات التي حصلت في جيشه. 3 - شراء الذمم، والأموال الطائلة التي أنفقها معاوية لشراء الولاءات، وهذا كان من أخطر الوسائل المؤثرة.

ج-**فقد القيادات الواعية:** فقد جيش الإمام علي وبالتالي جيش الإمام الحسن بعضَ القادة الواعين أصحاب الثقل العسكري والاجتماعي الكبير، مثل عمار بن ياسر، وهاشم المرقال، وثابت بن قيس، وذي الشهادتين، ومالك الأشتر، ومحمد بن أبي بكر، وقد ترك فقدهم فراغا هائلا في الجيش العراقي، ملأه بدلا عنهم المنافقون، والخوارج، والمتربصون، الذين كانوا سوسة تنخر داخل ذلك الجيش.

إن من أعظم أسباب ومظاهر ضعف جبهة الإمام علي أنه فقد من كان يعتمد على إخلاصهم، وإيمانهم بقضيتهم، وهم البقية الباقية من المهاجرين والأنصار، الذين ناضلوا عن كرامة الإسلام، وشيدوا صروحه، ولو كانوا على قيد الحياة لما حدث التفكك في جيشه، وقد حزن عليهم الإمام حزنا مرهقا، وبكى عليهم أمرَّ البكاء، وقد تذكّرهم يوما وهو يخطب على منبر الكوفة، ومما قاله عنهم: (ما ضرّ إخوانَنَا الذين سُفِكَتْ دماؤهم، وهم بصفين، ألا يكونوا اليوم أحياء؟ يسيغون الغُصَص، ويشربون الرنْقَ [الكدِر]، قد والله لقوا الله، فوفاهم أجورهم، وأحلهم دار الأمن بعد خوفهم. أين إخواني الذين ركبوا الطريق، ومضوا على الحق؟ أين عمار؟ وأين ابن التيهان؟ وأين ذو الشهادتين؟ وأين نظراؤهم من إخوانهم الذين تعاقدوا على المنية، وأُبْرِدَ برؤوسهم إلى الفَجَرَة؟) ثم ضرب بيده إلى لحيته، فأطال

البكاء، ثم قال: (أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبّروا الفرضَ فأقاموه، أحيَوا السنة، وأماتوا البدعة، دُعُوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبعوا)، ثم نادى بأعلى صوته: (الجهاد الجهاد عباد الله، ألا وإني معسكر في يومي هذا، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج)[1].

فإذا كان وضع الجيش العراقي على هذا النحو في أيام الإمام علي، فكيف سيكون حاله في أيام الإمام الحسن بن علي عليهما السلام؟!.

د- **أخذ معاوية لزمام المبادرة في الحرب والسلم:** لقد درس معاوية نفسية الجيش العراقي، ووقف على تخاذله، وعدم انقياده للإمام علي، فجعل يغير على البلدان التي تقع تحت حكم الإمام علي عليه السلام، قطرا قطرا، ويحتلها، فاحتل مصر، وقتل حاكمها محمد بن أبي بكر بطريقة مروِّعة. وبعَثَ جيشا آخَرَ بقيادة الوغد بسر بن أرطأة لاحتلال الحجاز واليمن، فتوجَّه إلى المدينة، فأدخل على قلوب أهلها الرُّعْبَ والخوف، ثم دخل إلى اليمن وارتكب فيها أبشعَ المجازر بحق الرجال والنساء والأطفال، وذبح قثم وعبدالرحمن ابني عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب.

ولما انتهت الأنباءُ المروِّعة إلى الإمام علي أقبل إلى أصحابه، ونفسُه المقدّسَةُ مترعةٌ باللوعة والاستياء على هذا الوضع السيء، فخطب فيهم خطبة، قال فيها: (أُنْبِئْتُ بُسْرًا قد اطّلع اليمن، وإني والله لأظنُّ هؤلاء القوم سيُدالون منكم؛ باجتماعهم على باطلهم، وتفرُّقِكم عن حقكم، وبمعصيتِكم إمامَكم في الحق، وطاعتِهم إمامَهم في الباطل، وبأدائهم الأمانةَ إلى صاحبهم وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلو ائتمَنْتُ أحدَكم على قَعْبٍ، لخشيتُ أن يذهب بعُلاقته، اللهم إني قد مللْتُهم وملُّوني، وسئِمْتُهم وسَئِموني، فأبدِلْني بهم خيرًا منهم، وأبدِلْهم بي شرًّا مني، اللهم مِثْ قلوبَهم كما يُمَاثُ المِلْحُ في الماء)[2].

(1) أبو عواضة: من حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ص95 - 96، نقلا عن محاضرة للسيد حسن نصر الله يحفظه الله.
(2) نهج البلاغة خطبة رقم25.

ثم أرسل معاوية جيشًا جرّارًا بقيادة سفيان بن عوف الغامدي للإغارة على أهل العراق في عقر دارهم، فغزى بجيشه هيت[1]، والأنبار[2]، وأوقع بنفوس أهليهما قتلا فظيعا، وبأموالهم أضرارا جسيمة، ولما انتهت الأنباء إلى الإمام بلغ منه الحزن أقصاه؛ لأنه يرى الباطل قد قويت شوكته، ولم يمكنه مواجهته والقضاء عليه، وقد امتلأت قلوب أصحابه خوفا وذلا وتخاذلا، فصعد المنبر، فخطبهم بخطابِ مَنْ يعرف ما في نفوسهم، ومما قال فيه: (ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا، وسرًّا وإعلانا، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزِيَ قومٌ قطّ في عقر دارهم إلا ذلوا، فتواكلْتُم وتخاذلْتُم حتى شُنَّت عليكم الغارات، ومُلِكَتْ عليكم الأوطان.

وهذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار، وقد قتَلَ حسان بن حسان البكري، وأزال خيلكم عن مسالحها، ولقد بلغني أن الرجل منهم كان يدخل على المرأة المُسْلِمَة، والأخرى المعاهِدة فينتزع حِجْلَها، وقُلْبَها، وقلائدها، ورِعاثها[3]، ما تمتنع منه إلا بالاسترجاع والاسترحام[4]، ثم انصرفوا وافرين[5]، ما نال رجلا منهم كَلْمٌ [جرح]، ولا أريق لهم دمٌ، فلو أنّ امرأ مسلما مات من بعد هذا أَسَفًا ما كان به ملوما، بل كان به عندي جديرا.

فيا عجبا عجبا والله يميت القلب، ويجلب الهم، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وتفرقكم عن حقكم، فقبحا لكم وترَحا[6]، حين صِرْتُم غرَضًا يُرْمَى، يُغارُ عليكم ولا تُغِيرون، وتُغْزَوْنَ ولا تَغْزُون، ويُعْصَى الله وتَرْضَون!..... يا أشباهَ الرجال ولا رجال، حلومُ الأطفال، وعقولُ ربّاتِ الحجال، لودِدْتُ أني لم أركم، ولم أعرِفْكم معرفةً والله جرَّتْ نَدَما، وأعقبت سَدَما.[7]

(1) هيت: بلدة بنواحي بغداد فوق الأنبار، على نهر الفرات، بالقرب من الحبانية.
(2) الأنبار: مدينة تقع على الفرات تقع غربي بغداد.
(3) الحِجل: الخلخال. والقُلْب: السوار في اليد. والقلائد: ما يوضع في الحلق من الحلي. والرِّعاث: جمع رَعْثة، وهي: الأقراط في الأذن.
(4) الاسترجاع: هو أن تقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. والاسترحام: طلب الرحمة ممّن أخذها.
(5) وافرين: إما ذوي وفر لما أ صابوه من الغنائم، أو وافرين: ما خُدِشَ لأحد منهم جلد.
(6) ترَحًا: هما وحزنا.
(7) السّدَم: الهم مع أسف أو غيظ.

قاتلكم الله! لقد ملأتم قلبي قيحا، وشَحَنْتُم صدري غيظا، وجرَّعْتُموني نُغَب التَّهمام أنفاسا[1]، وأفسدتم عليّ رأيي بالعصيان والخذلان، حتى قالت قريش: إن ابنَ أبي طالب رجلٌ شجاع، ولكن لا علم له بالحرب، لله أبوهم، وهل أحدٌ منهم أشدُّ لها مراسا، وأقدم فيها مقاما مني؟!، لقد نهضت فيها وما بلَغْتُ العشرين، وها أنا ذا قد ذرّفت على الستين، ولكن لا رأيَ لمن لا يطاع)[2].

وقال لهم أيضا: (أيّها النّاسُ المجتمعةُ أبدانُهم، المختلفة أهواؤُهم، كلامُكم يُوهِي الصّمَّ الصّلاب، و فعلكم يُطْمِعُ فيكم الأعداء، تقولون في المجالس: كيت و كيت، فإذا جاء القتال قلتم : حِيدي حَيادِ[3]، ما عزّتْ دعوةُ من دعاكم، ولا استراح قلبُ مَنْ قاساكم، أعاليلُ بأضاليل، وسألتموني التّطويل، دفاع ذي الدّين المطول، لا يمنع الضّيم الذّليل، ولا يُدْرَك الحقُّ إلاّ بالجدّ، أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ و مع أيّ إمام بعدي تقاتلون؟ المغرورُ واللّهِ مَنْ غرَرْتموه، ومن فاز بكم فقد فاز واللّه بالسّهم الأخيب، ومَنْ رَمَى بكم فقد رمى بأفوق ناصل[4]، أصبحْتُ واللّه لا أصدِّقُ قولَكم، ولا أطمع في نصركم، ولا أُوعِدُ العدوَّ بكم، ما بالُكم؟ ما دواؤُكم؟ ما طِبُّكم؟ القومُ رجالٌ أمثالكم)[5].

إن هذه النوعية من الأتباع سيعجزون قائدهم، وسيخسر بدون شك أي معركة يخوضها بهم، حتى ولو كان علَمًا من الأعلام، أو نبيا من الأنبياء.

ثم زاد الأمر سوءا استشهاد قائده الأعلى، وساعده الأيمن البطل، مالك الأشتر، ثم محمد بن أبي بكر واليه على مصر، ثم سقوط مصر، وسيطرة معاوية على مصر بما تمثله من ثقل استراتيجي وسياسي واقتصادي.

كل هذه التطورات تقدم صورة حقيقية حول حقيقة الوضع في العراق، ومعاناة الإمام علي الشديدة جدا من أتباعه، ثم خُتِمَتْ هذه الكوارث باستشهاد الإمام علي عليه السلام الذي مثل أكبر خسارة للأمة، والذي ترك فراغا كبيرا باستشهاده لا يمكن أن

(1) النغب: جمع نغبة وهي الجرعة. والتهمام، بفتح التاء: الهم. وأنفاسا: أي جرعة بعد جرعة، أي جرَّعوه الهمَّ جرعة بعد جرعة.
(2) نهج البلاغة خطبة رقم 27.
(3) حِيدي حَياد: كلمة يقولها الهارب عند الفرار.
(4) أفوق ناصل: بسهم ليس له نصل، فهو لا يصيب.
(5) نهج البلاغة خطبة رقم 29.

يملأه أحد، فشكل استشهاده عليه السلام انهيارا إضافيا، فلم تصل حالة الجيش في عهد الإمام الحسن إلا وقد تعقّدت الأمور أكثر، وتفسّخت الأحوال بصورة أكبر؛ لتجعل مهمة الإمام الحسن عليه السلام صعبة جدا جدا جدا[1].

يقول الشهيد القائد رضوان الله عليه: «وهذه أحيانا تحصل، تحدث وضعيات كهذه، لكنها وضعيات هي نتيجة تقصير من قبل الناس أنفسهم يوم تخاذلوا مع علي عليه السلام كانت نتيجة تخاذلهم قوة للباطل في جانب بني أمية، جعلت مواجهتهم لذلك الباطل في أيام الإمام الحسن صعبة جدًّا، تخاذلوا معه أيضًا»[2].

هـ- **خيانة عبيدالله بن العباس:** وقد تقدّم الحديثُ عن خطورة هذه الحادثة، وكانت نقطة تحول كبيرة في مسار الأحداث لصالح معاوية، وقد قال الشاعر:

إذا فاتك الأدنى الذي أنت حزبه     فلا عجب أن أسلمتك الأباعد

و-**رشوات معاوية**، وقد مرّ شيءٌ منها.

ز- **الإشاعات الكاذبة في بيئة غير واعية**، وقد تقدّم كيف استثمر معاوية فيها، حين لقي سوقا عراقية رائجة لها، وقد أدار معاوية - وهو الخبير المتمرس المتضلع الذي توفرت له الإمكانيات الهائلة والذي يتفلّت عن ضوابط الشرع – معركة إعلامية تثبيطية كبيرة ضد العراقيين، عمِلَتْ على محاور كثيرة، ونشر الإشاعات بشكل كبير جدا في صفوف جيش الحسن، حتى أن قائدا كبيرا واعيا مثل قيس بن سعد الأنصاري وقع في فخ تصديقها، حيث صدّق أن الحسن قد تنازل عن الخلافة وقام في جيشه خطيبا يخيّرهم بين القتال معه بدون إمام أو الدخول في بيعة معاوية[3]. لقد خلط هذا الإعلام المعادي والقوي أوراقَ جبهة الإمام الحسن، وخلط على جنوده الذين لم يكونوا بمستوى التحدي، ولا يبعُدُ القولُ بأن معاوية كان يحارب على الجبهة الإعلامية والإغرائية المالية أكثر من حربه في الجبهة العسكرية.

(1) أبو عواضة: من حياة الإمام الحسن عليه السلام، ص96 - 99، نقلا عن محاضرة للسيد حسن نصر الله حفظه الله.
(2) في ظلال دعاء مكارم الأخلاق، الدرس الأول، ص10.
(3) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين.

لقد كان ضعف الجيش العراقي، وقلة وعي مقاتليه وقادته، وما تقدم من أسباب وعوامل، يمثل النسبة الأكبر من أسباب وعوامل هزيمته وانتصار جيش معاوية عليه، وهكذا يفعل الأتباع غير الواعين، والمقصرون, والمفرطون، وغير المبالين بقياداتهم مهما كانت شجاعة وحكيمة.

## 2 - قوة العدو:

إن أمر العدو محكوم بالهزيمة إذا ما كان المتحركون تحت راية الحق على أعلى درجات الوعي والإخلاص، وكانوا كتلة صلبة في مواجهته، ولكنهم حين يفقدون مقومات النصر، فإن قوة العدو ستكون سببا إضافيا ومشاركا في هزيمتهم، وقد كان جيش معاوية يتمتع بنقاطِ قوةٍ واضحةٍ، ومنها: 1 - طاعة الجيش وإخلاصه له وعدم خيانتهم له في شيء. 2 - وحدة مصدر القرار لديهم. 3 - اتفاق كلمتهم. 4 - ضخامة القوة العسكرية، حيث تقول بعض الإحصائيات: إن جيش معاوية كان يفوق جيش الإمام في العدد بعشرات الأضعاف.[1] 5 - مع ملاحظة قوة انضباطه. 6 - ثم دهاء وخبرة فريق معاوية والمقرّبين منه، كالمغيرة بن شعبة، وعمرو بن العاص، 7 - وضخامة الأموال التي سخّرها معاوية لتوفير الإمكانات والعدة والعتاد.

## 3 - حقن دماء أهل بيته وشيعته:

لقد صرح الإمام الحسن بذلك في جوابه عن دوافع صلحه، فقال: (إني خشِيْتُ أن يُجْتَثَّ المسلمون عن وجه الأرض، فأردت أن يكون للدين ناعي، ...)، وأجاب عليه السلام على بعض الناقمين عليه من شيعته بسبب الصلح، فقال: (ما أردْتُ بمصالحتي معاوية إلا أن أدفعَ عنكم القتل)[2]، وقد صرَّح لحجر بن عدي الكندي قائلا: (ما كل أحد يحب ما تحب، ولا رأيه رأيك، وإنما فعلْتُ ما فعلت إبقاءً عليكم)[3].

(1) كتاب صلح الحسن لراضي آل ياسين.
(2) الدينوري: الإمامة والسياسة، ص303.
(3) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص45.

وقال لأهل العراق:«إنه سخى بنفسي عنكم يا أهل العراق ثلاثٌ: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وإنهابكم متاعي»[1]. وهو يبيّن إلى حدٍّ بعيد أن يأسه من نصرتهم حدثت بعد محاولة الأسدي الخارجي قتله في مظلم ساباط، وأن هذا زهّده في أيٍّ أمل فيهم وفي تحقيق أيٍّ مكسب للإسلام. ويكفينا من تصريحات الحسن عليه السلام ما قاله أكثر من مرة في سبيل إفهام شيعته حيثيات صلحه مع معاوية: «ما تدرون ما فعلت، واللّهِ للَّذي فعلْتُ خيرٌ لشيعتي ممّا طلعت عليه الشمس»[2].

إن خيار الذهاب إلى نهاية المعركة كان يعني اجتثاث كلّ المخلصين، والحاملين للمشروع الإسلامي تماما، وقتل الإمام الحسن وأخيه الحسين، وهذا يعني تسليم الأمة وعقول أبنائها وأجيالها لمعاوية وأجهزته الدعائية والإعلامية، وهذا ما تحاشاه الإمام الحسن عليه السلام، بينما كان الصلح يقتضي تسليم السلطة الزمنية لمعاوية مؤقتا، وليس تسليم الأمة إليه؛ إذ يبقى بإمكانها أن تأخذ الحق من ينابيعه ومصادره الصحيحة.

## 4 - حوادث المدائن:

ثم ما حصل في المدائن من أحداث، ومنها: أ- خيانة الزعماء والوجوه واتصالهم بمعاوية. ب- الحكم عليه بالتكفير من قبل الخوارج، ثم محاولة اغتياله ونهب أمتعته.

## 5 - إبراز الواقع الأموي:

كان معاوية قبل أن يستولي على زمام الحكم يتظاهر بالالتزام بتعاليم الإسلام، ويظهر الاهتمام بشؤون المسلمين، ولكن كان ذلك من دون شك رياء منه ومكيدة من باب (المشي رويد لأخذ الصيد)، لقد كان يبطن الكفر والنفاق، ويُضْمِرُ السوءَ والعداء للمسلمين، فأراد الإمام الحسن عليه السلام بصلحه الذي اضطُرّ إليه أن يُبرْزَ حقيقته أمام من خُدِعوا به، من أنه أعدى عدو للإسلام، فأخلى له الميدان، وسلّم له الأمر، فإذا به يعمد إلى فصم عرى الإسلام، وإلى نسف طاقاته، وإلى الإجهاز على القوى الواعية فيه، فيعدم وينكّل بمن شاء منها، ويرغم المسلمين

(1) () الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص165؛ والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج1، ص139؛ والمزي: تهذيب الكمال، ج6، ص245.
(2) صلح الحسن لرضى آل ياسين.

على البراءة من عترة نبيهم، وإعلان سبهم، وانتقاصهم على الأعواد والمنابر، وبذلك ظهرت خفايا نفسه، وفهم المسلمون جميعا حقيقة هذا الطاغية وما يبغيه من الغوائل لهم، ولو لم تكن للصلح من فائدة إلا إظهار ذلك لكفى بها.[1]

وكان الحسن عليه السلام يرى أن هذه الأمة التي خذَلَتْه وأسلَمَتْه إلى عدوها لا زالت بحاجة إلى مزيد من دروس اليقين، حيث تعيش حالة من الشك العميق، الذي يجعل اللامبالاة سلوكها، ولهذا آثر الموادعة والمصالحة؛ لتدخل هذه الأمة مرحلة اليقين، وتنتقل من حالة الشك لترى ما الذي سيفعله معاوية بعد عقد هذه الهدنة، هل سيفي بما فيها من شروط، أو سيرمي بها عرض الحائط، ومن ثم يتبيّن لكل مخدوعٍ أنّ الرجل لا همّ له سوى المال والمتع والشهوات، ومن هنا يسقط تظاهره بالشرعية بطريقة لا مواربة فيها.

## ثالثا: تنوّع أدوار وهدف واحد

هناك من يظن أن دوافع الصلح لدى الحسن تعود إلى نفسيته الموادِعة، وأنه رجلُ سِلْمٍ لا يميل إلى الحرب، ولا يُحِبُّها، ولا يرضاها، غير أن ما قاله أبوه في صفين عنه حينما رآه يتسرّع إلى خوض غمار الحرب أكبرُ ردٍّ على هذا القائل من الناس.[2]

وهناك من ينفخ في هذا الصلح ليجعله الأساس المفترض والذي كان يجب أن يُتَّبَع من علي عليه السلام سابقا، ومن الحسين أخيه لاحقا، وهؤلاء بهذا يريدون الانتقاص من الإمام علي كرم الله وجهه، حين حارب البغاة، ومن أخيه الحسين حين خرج على يزيد، وهؤلاء مشكلتهم ليست مع الحسن أو الحسين أو أبيهما، بل مع تجاوزهم لكثير من النصوص الشرعية الثابتة التي تجعل الإمام عليا وولديه أعلاما للحق، ومنارات للهدى.

إنه يجب على قائد الأمة أن يتخذ الموقف الذي يراه مناسبا وملائما بحسب ظروفه المتاحة له، حتى ولو كان ذلك الحسن بن علي المنصوص على إمامته.

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج2، ص139 - 140.
(2) نهج البلاغة رقم 207.

ألم يكن الإمام علي والده منصوصا عليه بالإمامة ولما لم يجد الناصر ورأى أن مصلحة الإسلام أن لا يعلن الحرب على مَنْ تقدّمه كان ذلك فرضه؟!.

ألم يضطر الإمام أن يوافق على التحكيم بعد خدعة المصاحف وهو يعلم أنه على الحق ومعاوية على الباطل، وأنه قاب قوسين أو أدنى من النصر، ثم اضطروه للموافقة على تعيين أبي موسى حكما، وهو الذي كان معروفا بعدم إخلاصه له؟ ثم ألم يوقّع عريضة تحكيم ليس فيها أنه أمير المؤمنين؟! بما يعني في النظرة القاصرة أنه من الآن فصاعدا لا زال يبحث عن شرعيته التي تتردّد بينه وبين معاوية.

إذا أردنا أن نقرأ تاريخ أهل البيت فيجب أن نقرأه باعتباره وحدة موضوعية واحدة، ومن الخطإ البيّن أن نقرأه مجزّءا، وأن نقرأ كلا على حدة، مثلا من الخطإ الفادح أن نقرأ سكون الإمام زين العابدين عليه السلام وهدوءه وميله للتغيير السلمي على أنه هدفه الاستراتيجي، وأنه قناعته الشخصية والعقدية، في سياق قراءتنا لثورة ولده الإمام زيد، بينما كان من الواضح أن جهاد الإمام زين العابدين السلمي ونشاطه التوعوي الأخلاقي هو الخطوة الأولى التي يجب أن تسبق ثورة ولده وقرة عينه.

الخلاف هنا ليس خلاف هدف أو غاية، إنه مجرد تنوُّع أدوارٍ تؤدي كلها إلى الأهداف الكلية المشتركة، فهذا يحارب الظالمين بنشر الوعي والثقافة الإسلامية السوية، وتصحيح مسار المنحرف منها، وهذا يحاربهم بالقوة العسكرية؛ لتكون تلك التعاليم موجودة على الواقع.

حين صالح الإمام الحسن وجنح للسلم فإنه كان محكوما بالأهداف والغايات والطرق والأساليب المتاحة والممكنة والمرجو تحقيقها، وحين ثار الإمام الحسين فقد كان محكوما بظروفه التي توجب عليه أن يثور، وحين استشهد كان يجب أن يستشهد.

إنها الخيارات المتاحة والممكنة في ظل التقدير والدراسة لحركة المجتمع ووعيه، وموازنة المصالح والمفاسد التي من الضرورة بمكان أن يكون الإمام أعلم الناس بها، وأن يتخذ القرار المناسب إزاءها.

يقول العلامة محمد بن يحيى مداعس (ت1351هـ): «إنه لم يكن بين الحسن وبين الحسين عليهما السلام اختلافٌ فيما يعامَلُ به الظلمة، وما يتعلق بسياسة الأمة وسير الأئمة في الرعية، وتدبير أمور الأمة المحمدية، فلا يتوهم متوهِّمٌ من مصالحة الحسن عليه السلام لمعاوية اللعين، وعدم ذلك من الحسين عليه السلام في يزيد المريد المهين، أن بينهما اختلافا في العقائد الدينية، والسيرة مع الظلمة وسائر الرعية؛ لأن الحال اقتضى مع كل واحد منهما عليهما السلام حُسْنَ ما فعل، ولو اتفق لأحدهما مثلُ ما اتفق للآخر، أو وقع أحدُهما في عينِ ما وقع في الآخَر، لما فعل خلافَ ما فعله أخوه صلوات الله وسلامه عليهما معًا، وعلى سائر الآل جميعًا؛ لأن الحسن عليه السلام في ابتداء الأمر، جَمَعَ الأجناد والعساكر لقتال العدو، فلمّا خُذِلَ وظَنَّ استئصاله هو وأخوه وشيعته، حسُنَتْ منه المصالحةُ على تلك الشروط التي منها: إجراء الأمور مجاريها الشرعية»[1].

ويقول الشهيد القائد رضوان الله عليه عن صلح الإمام الحسن بأنه: «**اضطُرَّ إلى أن يأخذ ما يمكن من الشروط والعهود لأمنهم، وأمن أعراضهم، وبيوتهم، في حين أن معاوية كان قد اجتاح المنطقة، والمهيمن، عندما تفرق عن الإمام الحسن جيشُه**»[2].

## رابعا: بنود الصلح

وقع الصلح في غُرّة شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين[3]، وقد أورد البلاذري أنَّ معاوية كتب كتابا اقترحه صيغة للصلح، وكانت هذه نسخته: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب للحسن بن علي من معاوية بن أبي سفيان، إني صالحْتك على أنَّ لك الأمر من بعدي، ولك عهدُ الله وميثاقُه وذمّتُه وذمّةُ رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وأشدُّ ما أخذه الله على أحدٍ من خلقه من عهد وعقد، أن لا أبغيَك غائلة ولا مكروها، وعلى أن أعطِيَك في كلِّ سنةٍ ألف ألف درهم من بيت المال، وعلى أنّ لك خراج (فسا) و(داراب جرد)[4]، تبعثُ إليهما عُمّالك، وتصنعُ بهما ما بدا لك)، غير أن

(1) الكاشف الأمين.
(2) سورة آل عمران، الدرس الرابع، ص37.
(3) المحلي: الحدائق الوردية، ج1، ص180.
(4) فسا وداراب جرد: منطقتان من أعمال البصرة.

الحسن عليه السلام كان يهمه التأكد من تحقيق الأمان لشيعته والمحاربين معه ومع أبيه ومن سيكون لهم دور في المستقبل؛ لذلك بعث عبدالله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وأمه هند بنت أبي سفيان، فقال له: ائت خالك، فقل له: (إنْ أنت آمنْتَ الناسَ بايعْتُك)، فدفع معاوية صحيفة بيضاء، وقد خَتَمَ في أسفلها، وقال له: اكتُبْ فيها ما شئت[1].

واستمرت المفاوضات بين الطرفين، واستمرّ الأخذ والرد، حتى وصلوا إلى ما ذكره جماعة من المؤرّخين أنّ الإمام ومعاوية ارتضيا أخيرا على بنود ذكروها في عدد من الوثائق المختلفة والمتعددة، ويمكن تلخيص ما ورد فيها على النحو التالي:

1 - تسليم الأمر إلى معاوية على أن يعمل بكتاب الله، وسنة نبيه صلى الله عليه وآله.

2 - ليس لمعاوية أن يعهد بالأمر إلى أحد من بعده، ويكون الأمر بعده للحسن[2]، فإن حدث به حدث فالأمر للحسين.

3 - الأمن العام لعموم الناس في جميع أرض الله، في شامهم، وعراقهم، وحجازهم، وتهامتهم، ويمنهم، وأسودهم، وأحمرهم، وأن يحتمل عنهم معاوية ما يكون من هفواتهم، وأن لا يتْبَع أحدًا بما مضى من أحداث وحروب، وأن لا يأخذ أهلَ العراق بإحنة.

4 - أن لا يُسمّيَ الإمامُ الحسنُ معاوية بـ(أمير المؤمنين).

5 - أن لا يقيم عنده شهادة.

6 - أن يترك سبَّ أمير المؤمنين، وأن لا يذكره إلا بخير.

7 - أن يُوصِلَ إلى كلِّ ذي حقٍّ حقَّه.

8 - الأمان لشيعة أمير المؤمنين علي عليه السلام، وعدم التعرض لهم بمكروه.

9 - أن يفرِّق في أولادِ الشهداء الذين قُتِلوا مع الإمام علي في يومي الجمل وصفين ألف ألف درهم سنويا، ويُجْعَلَ ذلك من خراج (فسا) و(داراب جرد).

(1) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص40 - 41.
(2) المحلي: الحدائق الوردية، ج1، ص180.

10 - أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غائلة سرا ولا جهرا، ولا يخيف أحدا منهم في أفق من الآفاق[1].

وفيما يتعلق بالبند الأول، من التزام معاوية بكتاب الله وسنة رسول الله، فقد كان هذا لإقامة الحجة، وإلا فمعاوية ليس أهلا للعمل بهما، ولكن لكي يتم التذكير أن مشروعية أي حكم يجب أن تكون من خلال الالتزام بكتاب الله وسنة رسول الله.

أما بند أن يكون الأمر من بعد معاوية للحسن ثم للحسين، فهذا متعلق بمستقبل السلطة السياسية، وتحديد مسارها، ولتكون شاهدا واضحا على غدر معاوية.

ثم الشروط الأمنية التي نصت على أن يكون الناس آمنين أمنا عاما في كل البلاد، وأن لا يلحق معاوية أحدا بتبعة الأحداث السابقة، ولا سيما أهل المدينة والعراق والحجاز، وشيعة أهل البيت عليهم السلام.

ثم في الأمور الشكلية البروتوكولية طرح الإمام الحسن عليه السلام شروطا، منها أن الحسن لا يخاطب معاوية بأمير المؤمنين، وأن الحسن لا يقيم شهادة عند معاوية.

وفي المستوى التثقيفي اشترط أن يترك معاوية سبّ والده الإمام علي، وأن لا يذكره إلا بالخير؛ لأن معاوية كان قد عمّم سب أمير المؤمنين في بلاد الشام، فكان يسب أمير المؤمنين على المنابر في الصلوات الخمس.

ومن شروط الإمام الحسن الجميلة التوصية والعناية بعوائل الشهداء، وأن يفرِّق في أولاد من قُتِلَ مع أبيه يوم الجمل ويوم صفين ألف ألف درهم، يعني مليون درهم، من خراج منطقتي (فسا) و(داراب جرد).

من جهته فإن معاوية أصلا لم يناقش شيئا من هذه الشروط، بل قبل بها مباشرة؛ لأنه كان موطِّنًا نفسه على أن لا يفيَ بشيء منها؛ ولهذا أعطى الإمام الحسن شيكا على بياض.

(1) ينظر القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج2، ص228 - 237.

وبهذه الموادعة انتهت المواجهة المسلحة، ودخل معاوية بالجيش الذي جاء به إلى الكوفة، واستحكمت قبضته، ورأى أهل الكوفة، بسبب تفريطهم، وتقصيرهم، وضعف وعيهم، وعدم مبالاتهم، وتفرقهم، وعدم إخلاصهم، ما كان يحذّرهم منه أمير المؤمنين عليه السلام، إذ قال لهم: (إني والله لأظن هؤلاء القوم سيدالون منكم، باجتماعهم على باطلهم، وتفرُّقكم عن حقكم، وبمعصيتكم إمامكم في الحق، وطاعتهم إمامهم في الباطل، وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم، فلو ائتمَنْتُ أحدَكم على قَعْبٍ لخشيتُ أن يذهب بعلاقته). وهذه سنة كل من يدعون الانتماء إلى راية الحق، وتصيبهم هذه الآفات الخطيرة، والأدواء القاتلة.

## خامسا: الصلح يشهد بعبقرية الإمام الحسن عليه السلام

هدف معاوية في صلحه مع الحسن عليه السلام؛ للاستيلاء على الملك، ولم يرض الحسن بتسليم الأمر لمعاوية إلا ليصون مبادئه من الانقراض، وليحفظ شيعته من الابادة، وليتأكد السبيل الى استرجاع الحق المغصوب يوم موت معاوية.

وقد استطاع عليه السلام بعقد الهدنة الذي أبرمه مع معاوية أن يحفظ للشيعة المخلصين حقهم في الحياة باعتراف معاوية، وأصبح أيُّ تعامل غير إنساني معهم يمثل عدواناً غادرًا ومفضوحًا، ولا يمكن تبريره بأي منطق كان، حتى بمنطق أهل الجاهلية، ومن لا يؤمن بدين.

وعلى كل حال.. فإن إلقاء نظرة على هذه الشروط تعطينا أنها قد ركزت على سحب جميع الذرائع من معاوية والأمويين، وإسقاط كل أطروحاتهم[1].

ومن ذلك:

1 - أن الإمام عليه السلام شَرَطَ أن يكون خراج (فسّا) و(دارابجِرْد) للإمام عليه السلام، وهذا فيه إشارة أنه عليه السلام لا يرى معاوية إمامًا، من حيث أن هاتين المنطقتين فُتِحَتَا صلحًا[2] ولم تفتحا عنوة، وما كان كذلك، فهو للإمام كما هو مقتضى الفقه

(1) العاملي: عاشوراء بين الصلح الحسني والكيد السفياني.
(2) فتوح البلدان، ص380.

الإسلامي. أما سائر البلاد، فقد فُتِحَتْ عنوة، وهذا يُقْسَم بين المقاتلة الفاتحين. فإذا تعدّى معاوية على حقوق الناس، وظلمهم، فإن على الناس أنفسهم أن يطالبوا بحقوقهم، وأن لا يرضوا بهذا الظلم.

وبذلك يكون عليه السلام، قد أفهم من يريد أن يفهم: أن هذه الهدنة قد تضمَّنت سلب معاوية كلّ ما يدّعيه لنفسه من مقامات، وبيّنت أنّ الإمامَ الحق إنما هادنه في دائرة محدودة جدًّا، ولكنه سلب عنه كلّ شرعية فيها.

2 - وليس لمعاوية أن يعهد لأحد من بعده: هذا الشرط بيّن أنه لا حق لمعاوية في هذا الأمر أصلاً، وهذا يدل أنه حين نكث معاوية بعهده هذا، وعَهِدَ إلى ولده يزيد، فإنما فعل أمرًا قد اعترف هو بعدم مشروعيته؛ لأنه صدر عمن ليس له الحق في أن يفعله، وبهذا يكون هو من مهّد لثورة الحسين سلام الله عليه.

3 ـ أن يكون خراج منطقتي (فسا) و(داراب جرد) للإمام الحسن عليه السلام ليفرّقها بين يتامى حرب الجمل وصفين، ولم يذكر النهروان، ومن شأن هذا الاشتراط، خصوصًا، مع عدم ذكر أيتام النهروان، أن يُظْهِرَ أحقية أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل. ويشير إلى بغي معاوية عليه، وإجرامه في حقه وفي حق الأمة بخروجه عليه في صفين؛ مما يعني إبطال جهود معاوية للنيل من الإمام علي عليه السلام وإظهارِ أنه كان ظالمًا في حربه له، كما أن فيه درسا مهما بأهمية الاهتمام بأسر الشهداء، وأن تحضر قضية رعايتهم كأولوية في كل المراحل التاريخية.

وبهذا يتبيّن أن الإمام الحسن كان مضطرا بقبوله هذا الصلح المؤقت، بسبب الظروف والأحوال التي وصل إليها أهل العراق، ومع ذلك فقد كان أيضا مستفيدًا من الصلح، قياسا بإمكاناته المتوفرة، وظروفه غير المساعدة، وكان معاوية هو الخاسر منه استراتيجيا، ويتبين من خلاله أن الإمام الحسن يظهر أنه لا زال الإمام الشرعي.

# المبحث السابع: ما بعد الصلح

## 1 - موقف قيس بن سعد

ثبت قيس بعد خيانة عبيدالله بن العباس على موقفه المتصلِّب من معاوية، وتبادل معه رسائلَ نارية وساخنة، اتَّهم قيسٌ فيها معاويةَ صراحةً بأنه منافق، وأنه لم يزل حربا لله ولرسوله[1]، وتصدّى هو ومن معه من المجاهدين المستبصرين لغزوات وهجمات جيش معاوية؛ الأمر الذي جعل معاوية يعزف عن مواجهته عسكريا، ويستمر في التحرك بدلا عن ذلك في حرب الإشاعات، والحرب الإعلامية، والكيد، وشراء الذمم، وهي الحرب التي أجادها معاوية، ونجح فيها، حين وجد الميدان العراقي قابلا لمثل هذا النوع من الحروب.

ولمّا تمّ الصلحُ بين الإمام ومعاوية، وحضر دور قيس بن سعد، وطُلِبَ منه البيعة، حَرِصَ قيسٌ أن يُسَجِّلَ موقفا مهما، وأن يبيِّن للناس خطورة ما فرّطوا فيه، وحمَّلهم هم المسؤولية، وليس الإمام الحسن، فقال لهم في محضر معاوية: «يا معشر الناس، لقد اعتضتم الشرَّ من الخير، واستبدلتم الذُّلَّ من العز، والكفرَ من الإيمان، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، وابنِ عمِّ رسولِ ربِّ العالمين، وقد وَلِيَكم الطليقُ ابنُ الطليق، يَسُومُكم الخسفُ، ويسير فيكم بالعَسْفِ، فكيف تجهلُ ذلك أنفسُكم، أم طبع الله على قلوبكم، وأنتم لا تعقلون».

ثم جثا معاوية على ركبتيه، وأخذ بيده، وقال: أقسمت عليك، ثم صفَق على كفه، ونادى الناسُ: بايع قيس، فقال: كذبتم، والله ما بايعت[2]. وورد في رواية أخرى أنّ قيسا أقبل على الإمام الحسن، وقال له: أإنا في حِلٍّ من بيعتك؟ فقال: نعم،

(1) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص43.
(2) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص216.

فألقيَ لقيسٍ بن سعد كرسيٌّ، وجلس معاوية على سريره، فقال له معاوية: أتبايع، قال: نعم، فوضع يده على فخذيه، ولم يمدّهما إلى معاوية، وجثا معاوية على سريره، وأكبَّ على قيس حتى مسح على يده، فما رَفَعَ قيسٌ إليه يده[1].

إن نقل هذه الصورة بهذه الكيفية، وكيف حاول معاوية أن يحصل على الجانب الشكلي من بيعة قيس، وتسجيل قيس رسائله المهمة بعدم رضائه عن هذه البيعة، وأنها بيعة غير طبيعية، واضطرارية، إن نقلها على ذلك النحو المفصّل، وعدم نقل أية صورة لبيعة الحسن، يرجِّح أنّ الإمام الحسن لم يصافِقِ بيده الشريفة على يد معاوية، وإنما تخلّى فقط عن الأمر، وتركه، بدون أن يبايع، وإلا لنُقِلَتْ كيفيتها، وتفاصيلُ صورتها، وكيف حدثت، ومن الذي حضر، وماذا قال معاوية، وماذا قال الإمام الحسن. لكن الحقّ أنها موادعة ومصالحة، وليست بيعة، وبالتالي فلا يؤخَذُ منها الشهادة على شرعية معاوية.

وهذا يعني أنه فقط سلم الأمر مضطرا، وقد وصفه هكذا المؤرخون، فقد طلب معاوية من الحسن أن يخطُبَ لمّا سلم الأمر إليه، وظن أنه سيُحْصَر عن الكلام، فقال في خطبته: (إنما الخليفة مَنْ سار بكتاب الله، وسنة نبيه، صلى الله عليه وآله، وليس الخليفة من سار بالجور، ذلك مَلِكٌ مَلَكَ مُلْكًا، يُمَتَّعُ به قليلا، ثم تنقطع لذته، وتبقى تبعته، (وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ)[2].

## 2 - نقض معاوية للصلح وإعلانه النكث

روى الزهري أنّ معاوية نقَضَ كلّ شروط هذا الصلح، ولم ينفِّذْ للحسن أيَّ شرطٍ منها. وفيما يتعلق بسب الإمام علي فقد كفَّ فقط عن سبّ الإمام علي عليه السلام في محضر الحسن. ثم دس إلى أهل البصرة أن يطردوا وكيل الإمام الحسن على خراج (فسا) و(داراب جرد)، وقالوا: لا نحمل فيئنا إلى غيرنا[3]، وفي رواية أن الإمام الحسن لما وجّه عماله إلى المنطقتين أمر معاوية واليَه على البصرة، ابن عامر،

(1) الشرفي: اللآلي المضية، ج3، ص34.
(2) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص47.
(3) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص266.

أن يُغْرِيَ أهل البصرة بالحسن، وأن يضجُّوا، فجعلوا يقولون: «قد انقضت أعطياتنا بما جعل معاوية للحسن، وهذا المال مالنا، فكيف نصرفه إلى غيرنا»، فطردوا عماله على الكورتين، فعوّضها معاوية من خراج أصبهان. فكان الحصين بن المنذر الرقاشي يقول: ما وفى معاوية للحسن بشيء مما جعل له: قَتَلَ حُجْرًا وأصحابه، وبايع لابنه، ولم يجعلها شورى، وسمَّ الحسن[1]. ويتضح أنه أراد أن تمرّ موازنة الإمام الحسن التي كان يفرّقها على أيتام شهداء الجمل وصفين من تحت ناظريه، وأن يحرِمَه أخذها المباشر من الكورتين.

إنّ الظالمين يجيدون التكتيك الآني؛ كونهم أهلَ شهوة وهوى، وهذه الأمور من المستعجلات، لقد وافق معاوية على بنود ذلك الصلح، وهي ثقيلة عليه جدا، لكنه اعتبرها لغوا من أول يوم، لقد قبل بها وهو مضمر للنكث والخلف، ولهذا ما إن حطّت رجلاه النخيلة من أرض الكوفة حتى سمعه أبو إسحاق السبيعي وهو يقول: كلُّ شرط أَعْطَيْتُه للحسن فهو تحت قدميَّ هاتين[2].

لكنه من المنظور المادي خاسر بكل ما تعنيه الكلمة من معنى، وكان يمكنه الحصول على ما كان يرومه بدون هذه المكاسب، ولكنه استخف تلك الشروط لتبييته الغدر بها، ولكن بعد أن حصل على مقصوده لم يتحمّل البقاء تحت هذا الالتزام ظاهرا، فأرضى غروره الذي يطالبه بإعلان النكث والغدر بأن أعلن غدره، وهو أول موقف يخسر فيه معاوية ويظهر نفسه على حقيقتها البعيدة عن الإسلام والدين ومصالحه.

لقد كان كلُّ همِّه أن يحصل على الشرعية التي طالما افتقدها وحلم بها، وقد واتَتْه الفرصة والظرف المناسب الذي حاول أن يقايضها بكل تلك المصفوفة من الالتزامات؛ إنه كان يعيش حالة جدب من هذه المشروعية، وكان يؤمله أنه يظهر كمتغلِّب، فكان عليه أن يبذل كل تلك الالتزامات ليحصل على مطلوبه.

يقول السيد عبدالحسين شرف الدين: «لم يطل الوقت حتى انفجرت أولى القنابل

(1) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص47 - 48.
(2) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص48.

المغروسة في شروط الصلح، انفجرت من نفس معاوية يوم نشوته بنصره؛ إذ انضم جيش العراق إلى لوائه في النخيلة. فقال - وقد قام خطيبًا فيهم -: «يا أهل العراق، اني واللّه لم أقاتلكم لتصلوا ولا لتصوموا، ولا لتزكوا، ولا لتحجوا، وانما قاتلْتُكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني اللّه ذلك وأنتم كارهون !. ألا وإنّ كلَّ شيء أعطيْتُه للحسن بن علي جعلْتُه تحت قدَمَيَّ هاتين!»»[1].

ثم لم يكفه ذلك حتى بدأ بالنيل من الإمام علي عليه السلام بمحضر الحسن والحسين، فقام الحسين ليردّ عليه، فأخذ الحسنُ عليه السلام بيده، فأجلسه، ثم قام، فقال: (أيها الذاكر عليا، أنا الحسن، وأبي علي، وأنت معاوية، وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدي رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدك حرب، وجدتي خديجة، وجدتك قتيلة، فلعَنَ اللهُ أخْمَلَنَا ذكرا، وألأمنا حسبا، وشرَّنا قدما، وأقدَمَنا كفرا ونفاقا)، فقال طوائفُ من أهل المسجد: آمين، قال فضل: قال يحيى بن معين: ونحن نقول: آمين، قال أبو عبيد: ونحن أيضا نقول: آمين، قال أبو الفرج: وأنا أقول: آمين[2]، قلت: وأنا حمود الأهنومي: أقول: آمين.

## 3 - هل حَفِظَ الصلح دماء الشيعة؟

كأنك تقول: وهل تحقق ما أراده الإمام الحسن بن علي عليه السلام من حقن دماء الشيعة؟ ألم يلاحقهم زياد ابن أبيه وابنه عبيدالله والمغيرة تحت كل حجر ومدر؟ ألم يقتلوا حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وغيرهما؟

والجواب: أن معاوية وبني أمية بذلك أسقطوا كل دعاواهم في التمثيل للإسلام، واتضح أنها زيف، وأنهم بعيدون عنه، وإذا كان الصلح يُلْزِمُهم أن لا يتعرّضوا لشيعة علي عليه السلام، وأن يكونوا ملتزمين بأحكام الإسلام، فإنهم بذلك كشفوا بأنفسهم عن سوأتهم وقبح جرائمهم، وبيّنوا بأنفسهم أنهم أهلُ غدرٍ وخيانةٍ وجبروتٍ وطغيانٍ، لقد كشفوا بأنفسهم أنهم غير جديرين بحكم الأمة، وأنهم ليسوا خليقين بالإمارة،

(1) في تقديمه لكتاب رضى آل ياسين (صلح الحسن).
(2) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص46.

وهو ما أسّسَ بعدُ لثورة الحسين سلام الله عليه.

إن مشروعية ثورة الحسين تتكئ على بساط صلح الحسن، إنها حركة تاريخية واحدة لا يمكن التفريق بينهما، إنهما مظهران لحركة واحدة، ويذهبان لتحقيق غاية واحدة وهدف جامع، لمَّا خان بنو أمية العهود، ونقضوا الصلح، وضعوا أنفسهم في محل الذنب، وقادوا أنفسهم إلى جحيم الغدر والخيانة، وأظهروا أنفسهم خلعاء عن القيم والدين، وأفصحوا عما كانوا يخفونه من الهزء واللعب والتحايل على الدين والإسلام.

## 4 - لم يعترف بشرعية معاوية

يروّج أنصار الأمويين أنه حين صالح الإمام الحسن عليه السلام فقد نقل الشرعية إلى معاوية، وهو خطأ بيّن، وذلك لـ:

1 - أن الحسن سلام الله عليه لم يعترف يوما بشرعية خلافته، واعتبره متغلِّبا، وقد قال في خطابه يوم الاجتماع في الكوفة: «وإن معاوية زعم أني رأيته للخلافة أهلاً، ولم أر نفسي لها أهلاً، فكذب معاوية. نحن أولى الناس بالناس في كتاب اللّه عزّ وجل وعلى لسان نبيه»، وقال في خطاب آخر له - بعد الصلح - وكان معاوية حاضرًا: «وليس الخليفة من دان بالجور، وعطل السنن واتخذ الدنيا أبًا وأمًّا، ولكن ذلك مَلِكٌ أصاب ملكًا يمتَّع به، وكأن قد انقطع عنه، واستعجل لذته، وبقيت عليه تبعته، فكان كما قال اللّه جل وعزّ: ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾»[1].

2 - لمّا بويع معاوية خطب فذكر عليا فنال منه ونال من الحسن، فقام الحسين ليرد عليه فأخذ الحسن بيده فأجلسه ثم قام فقال: ايها الذاكر عليا، ... كما تقدم.

3 - لم يقر له ذلك أيضا أصحاب الحسن الصالحون، بعد عقد الصلح بمدة، فقد سأل معاوية صعصعة بن صوحان العبدي قائلاً: «أي الخلفاء رأيتموني ؟»، فقال صعصعة: «أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهرًا، ودانهم كبرًا، واستولى بأسباب الباطل كذبًا ومكرًا. أما واللّه ما لك في يوم بدر مضرَبٌ ولا مرمى، ولقد كنتَ أنت وأبوك في العير والنفير، ممّن أجلب على رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله

(1) البيهقي: المحاسن والمساوئ، ج2، ص63.

وسلم. وإنما أنت طليق وابن طليق، أطلقكما رسول الله ﷺ. فأنّى تصلح الخلافة لطليق؟!»[1].

4 - اعتبر بعض التابعين من المشاهير وصول معاوية إلى السلطة انتزاء وابتزازا؛ قال الحسن البصري: «أربعُ خصالٍ كُنَّ في معاوية، لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة: انتزاؤه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها (يعني الخلافة) بغير مشورة منهم، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكّيرًا خميرًا، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زيادًا، وقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)، وقتله حُجْرًا، ويل له من حجر وأصحاب حجر، (مرتين)»[2].

## 5 - معاوية في الكوفة

ولما دخل معاوية الكوفة خطب فيها، وأظهر فلسفته وطريقة تعامله مع المعاهدات والشروط، بأنه غير معني بأي شرط فيها، وبين أن قتاله لهم ليس إلا لأجل التأمُّر عليهم وعلى رقابهم، وذكر أن أهل العراق كانوا لبيعته من الكارهين، غير أنه إذا كان مما يستحسنه الغادرون أن يغدروا في خفية من أمرهم، فإن معاوية على العكس من ذلك؛ أراد أن يعلن نكثه وغدره على الملأ، وهو وإن أراد التنصل من كل الالتزامات استباقا لأن يحاكمه إليها أحد، إلا أنه حقّق أول هدف من أهداف الإمام الحسن بصلحه معه، وهو أن يَظْهَرَ هذا الرجل على حقيقته عاريا عن كل فضيلة، ومجرَّدًا عن كلِّ منقبة.

لقد خطَبَ في الكوفة، فقال لهم: «أترون قاتَلْتُكم على الصلاةِ والزكاةِ والحجِّ، وقد علِمْتُ أنكم تصلون، وتزكّون، وتَحُجُّون، ولكنني قاتلْتُكم لأتأمَّرَ عليكم وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا وإنَّ كلَّ مالٍ أو دمٍ أصيب في هذه

(1) المسعودي: مروج الذهب 3/ 43.
(2) ابن الأثير: الكامل3/ 337.

الفتنة فمطلول، وكل شرط شرطته فتحت قدمي هاتين»[1]. وقال أيضا: «ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها»، ثم إنه انتبه فندم، فقال: «إلا هذه الأمة، فإنها، وإنها»[2].

لقد جاء إعلان نكثه وخيانته بهذا الشكل الفج ليبين أنه سيبدأ مشوارا جديدا في الحكم، حكم يعتمد على التهتك والمجاهرة بالانحراف عما عليه شرع الله، والبعد الواضح عن منهج الله، وهذه ضربة استباقية وجَّهها معاوية لكل الذين لا يزالون يحملون في أنفسهم الاشتياق إلى دولة الحق والمحقين، لكنه في الحقيقة أظهر حقيقته هو بذلك.

وإن من عظيم لطف الله بعباده، ومن حكمته، وعدله، أنه لا يترك أمته هكذا هملا، من دون أن ينصب لها أمارات الحق، بين الحين والآخر، وفي هذا السياق تأتي حادثة خالد بن عرفطة كأمارة من أمارات إقامة الحق، وتبيين الحجج، لمن كان له قلب؛ حيث تقول الرواية: إنَّ قومًا جاءوا يخبرون الإمام عليا أنَّ خالد بن عرفطة قد مات، فقال لهم: (لا والله، ما مات، ولا يموت حتى يدخل من باب هذا المسجد، -يعني باب الفيل-، براية ضلالة، يحملها له حبيب بن عمار)، فوثب رجل، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا حبيب بن عمار، وأنا لك شيعة، قال: (فإنه كما أقول). فلما دخل معاوية إلى الكوفة بعد خطبته بالنخيلة، كان بين يديه خالد بن عرفطة، ومعه حبيب بن عمار يحمل رايته، ودخلوا من باب الفيل[3].

## 6 - مظلومية الإمام الحسن عليه السلام

الكثير من الأنبياء والأعلام ظلمهم أعداؤهم، إلا الإمام الحسن فقد ظُلِمَ من أعدائه وأوليائه على حدٍّ سواء؛ فمنهم من قام ليواجهه بالاعتراضات والإهانات الصريحة حينما اضطُرَّ إلى الصلح، ومن ذلك ما خاطبه المسيَّب بن نَجَبَة الفزاري،

(1) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج16، ص14، عند شرح المختار رقم (31).
(2) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص45 - 46.
(3) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص46 - 47.

حينما قال له: «بايعتَ معاوية ومعك أربعون ألفا، فلم تأخُذْ لنفسك منه ثقة»، وقام سفيان الهمداني إلى الحسن، وقال له: «يا مُذِلَّ المؤمنين»، وعاتبه حجر بن عدي الكندي، وقال: «سوّدت وجوه المؤمنين»، فقال له الحسن عليه السلام: (ما كل أحد يحب ما تحب، ولا رأيُك رأيَه، وإنما فعلْتُ ما فعلت إبقاءً عليكم)[1].

وما من شك في أن هذا الصلح المؤلم يحتاج إلى شجاعة الحسن سلام الله عليه المعهودة، فقد يتسنّى لكثير من الناس ومن أباة الضيم ركوبُ الحرب، وأن يَسْقُطُوا شهداءَ، وقد يسهُلُ عليك أن تكون محاربًا مستقتِلا، ولكن من الصعب عليك وعلى الكثير أن تقبل اتهامك بالجبن والذلة، ولكن حينما تكون في وضعية الإمام الحسن لو كابرت على موقفك، ففي هذه الحالة قد لا تكون شهيدا، وستصنَّف في المتهوِّرين.

والحسن سلام الله عليه كان يمتلك من الشجاعة والقوة في اليقين من الله ما يكفي لأن يواجه قسطا كبيرا من الظلم، ليس من أعدائه كما فعلوا مع أخيه الحسين، ولكن من أتباعه، ومن كثير من الشيعة الذين حسبوا صلحه ضربا من ضروب الخَوَرِ والتراجع.

إن الدخول في معترك الحرب التي قد تكون ضائعة وخاسرة ماديا ومعنويا بحكم أنها لا تصل إلى نتيجة استراتيجية سهلٌ جدا، ولا يحتاج إلى مزيد من التفكير والجهد الذهني، بينما حينما يتخذ الحسن قرار الصلح في جو متلبّد بالشقاق والنزاع والشك فإنه لا يعدم سهام النقد والتجريح التي قد يفضِّلُ معها المرءُ الموتَ والقتلَ، ولكنها هي الشجاعة المنضبطة بضوابط الشريعة، والمتحلية بقيم الدين والإسلام، والنظرة الاستراتيجية للإسلام ومصالحه العامة، ومن غير المنطقي أن نحاكم الإمام الحسن إلى أهوائنا، وعاداتنا، ولكن يجب أن نحاكمه إلى نواميس الشريعة ومبادئ الإسلام، وهو قد فعل ما يطلبه الإسلام منه وهو الصلح حقنا لدماء البقية الباقية، وليس عليه أن يسوق الناس إلى معترك الموت بلا ثمن ولا قيمة في معركة خاسرة إرضاءً لنزعة مغرورة هنا أو هناك.

(1) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص44 - 46.

## 7 - ما بين صلح الحسن وثورة الحسين عليهما السلام

يشتق الموقفان من هدف واحد سعى له الإمامان، وهذه مقارنة تكشف شيئا مهما:

-من ناحية العدو: عدو الحسن لا يزال يتظاهر بالإسلام، وهو يمارس تغريرا واسعا على الأمة، بينما عدو الحسين (يزيد) كان أمره أكثر وضوحا، وقد اتضحت جرأته على الله وعلى الحرمات بشكل أكبر. والصلح مع معاوية معناه كشفه وإصحاره إلى عامة الأمة بصورة الذي لا يرعوي لعهد، ولا يقيم وزنا لحكم من أحكام الإسلام، لكن أي عقد للصلح مع يزيد في تلك الحالة فإنه يعني الإقرار بشرعية متسلِّط متهتِّك، وبكل ما سيفعله من إفساد في الأرض.

-من ناحية الناصر: تبيّن للحسن سلام الله عليه أن هؤلاء الأنصار لا يوثَق بهم، وأن كثيرا منهم قد والوا معاوية وكاتبوه وبايعوه، وبقي بعضُ الخلّص الذين سوف تتحطم وتضيع جهودهم بسبب كثرة مشاغبات البقية، بينما كان الظاهر أن أنصار الحسين مستعدون للقيام معه، وهو في هذه الحالة يلزمه القيام والخروج بسبب وجود الناصر الذي يعلن أنه على استعداد بنصرته، ومعروف أنه كان لا زال يثق في نصرتهم حتى وصل أرض العراق، وبلغه خبرهم، وقد أُحصِر من قبل جنود ابن زياد، وحينئذ طلبوا منه أن ينزل على حكم ابن زياد، وقد رفض هذا الأمر وآثر الشهادة في موقف عظيم لا يسع أي حر إلا أن يفعل ذلك، ثم أيضا كانت الحالة تفرض أن تكون هناك هزة عاطفية كبيرة توصل صوت الإسلام، وتبين أن هنا انحرافا كبيرا يستلزم كل هذه التضحية على كبر حجمها.

-الأمة: كانت مصابة في عصر الإمام الحسن بحالة الشك في بني أمية، ثم خرجت منه نتيجة نقض الأمويين لبنود الصلح، إلى حالة فقدان الإرادة التغييرية مع معرفتهم لوجه الحق.

-الظروف الموضوعية: تملي على الأول المصالحة والموادعة بالطريقة التي عرضناها، وتملي على الثاني أن يقف حرا كريمًا، وأن يثور ويموت حرا بتلك الطريقة الكريمة سلام الله عليهما.

-كلا المظهرين الصلح والثورة هما حركتان في تيار واحد، أحدهما يؤسِّسُ للآخَر، ولا يتناقض معه، ولكلٍّ زمانُه وظروفُه. وقد انتصر دم الحسين في كربلاء بإقامة شرع الله، وبخلق منهج الثورة ضد الظالمين في الفكر والواقع الإسلاميين يوم خان معاوية العهود، ونقض البنود، وتجرّأ على الله بالمخالفة لأحكامه.

يقول السيد عبدالحسين شرف الدين: «فالحسن لم يبخل بنفسه، ولم يكن الحسين أسخى منه بها في سبيل اللّه، وانما صان نفسه يجنّدها في جهادٍ صامت، فلمَّا حان الوقت كانت شهادة كربلاء شهادة حسنية، قبل أن تكون حسينية. وكان يوم ساباط أعرق بمعاني التضحية من يوم الطف لدى أولي الألباب ممن تعمق؛ لأن الحسن عليه السلام، أعطي من البطولة دور الصابر على احتمال المكاره في صورة مستكينٍ قاعد. وكانت شهادة «الطف» حسنية أولاً، وحسينية ثانيًا؛ لأن الحسن أنضج نتائجها، ومهّد أسبابها.

كان نصر الحسن الدامي موقوفًا على جَلْوِ الحقيقة التي جلاها - لأخيه الحسين - بصبره وحكمته، وبجلوها انتصر الحسينُ نصرَه العزيزَ، وفتح اللّه له فتحه المبين.

وكانا عليهما السلام كأنهما متفقان على تصميم الخطة: أن يكون للحسن منها دور الصابر الحكيم، وللحسين دور الثائر الكريم، لتتألّف من الدورين خطة كاملة ذات غرض واحد»[1].

(1) مقدمة كتاب صلح الحسن لآل ياسين.

## 8 - بعض من أقوال أئمة أهل البيت عليهم السلام عن الصلح

-يقول الإمام المؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني (ت411هـ) في كتاب دعوته للإمامة: «فانتصب للأمر بعده [بعد الإمام علي] الإمام الوافر، والقمر الزاهر، سبط النبي، وسلالة الوصي، الحسن بن علي، صلوات الله على روحه في الأرواح، وعلى جسده في الأجساد، فرأب به صدع الدين، ودعا إلى الحق المبين، ولم يأخذه في الله لومة لائم، إلى أن: 1 - خذله أجناده، وقعد عنه أعضاده، 2 - وبسَطَتْ إليه الأيدي بالسوء، فجُرِحَ ودُفِعَ عمّا انتَصَبَ له، ودُعِيَ إلى سِلْمِ مَنْ كان له حربا، وغَصَبَ على الأمر غصبا، ثم لم يرض بذلك حتى قُتِل مسموما، ودفن مظلوما»[1].

-ويشير الإمامُ أبو طالب الهاروني (ت424هـ) إلى أسباب الصلح قائلا: «واضطرَّته الحوادثُ المشهورةُ، والموانع المعروفة، من: 1 - خذلان أكثر أصحابه له، 2 - واستئمان صاحب جيشه إلى معاوية، إلى اعتزال الأمر، ومصالحة معاوية»[2].

-ويقول الإمام أحمد بن سليمان[3]: «فإن لم يجد (أي الإمام المنتصب للأمر) مَنْ يعينُه على أمر الله، ويجاهد معه في سبيل الله، جاز له التنحِّي عنهم، كما فعل علي عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم من قعوده عن طلب الأمر، مع أنّ الحق كان له، وكذلك فعل ولده الحسن بن علي عليهما السلام لمّا فسد عليه أصحابه، وخذلوه، اعتزلهم وخلّى بينهم وبين معاوية وبين الأمر، وكذلك القاسم بن إبراهيم عليه السلام بويع، واجتمع عليه الخلق، ثم رأى فشلهم وغلب على ظنه أنه لا يمكنه القيام بالأمر كما يجب بهم، فاعتزلهم؛ لأن هذا الأمر لا يتم إلا بالأعوان والأنصار، فإذا لم يكونوا سقط وجوبه عن الإمام».

(1) المحلي: الحدائق الوردية، ج2، ص158.
(2) الهاروني: الإفادة، ص34.
(3) أصول الأحكام 2/ 412.

- ويؤكد الإمام عبدالله بن حمزة (ت624هـ) ما ذكره السيدان الهارونيان من أسباب، مضيفا بعضَ الأسباب الأخرى في قوله: «واضطرته الموانع المعروفة، والحوادث المشهورة، من: 1 - وثوب أصحابه عليه، 2 - وانتهابهم بيت ماله، 3 - وجراحتهم له بالحديد يريدون قتله، 4 - واستئمان صاحب جيشه، عبيدالله بن العباس، إلى معاوية، إلى التخلي من الأمر»[1].

وبهذا يتبين أن الإمام عليه السلام كان معذورا في قراره، وكان هو الصواب فقها، وقد قام بما يجب عليه بأحسن شيء، وأن أية مسؤولية تقصيرية فإنها لا تتوجّه عليه، بل تتوجّه إلى الأمة الخاذلة والغادرة، والتي لم تمكّنْه من القيام بما عليه من أجلها.

## 9 - الدروس المستفادة من صلح الإمام الحسن عليه السلام

يؤسس الصلح لجملة من القواعد والدروس، ومنها:

- **الدرس الأول:** الواقعية السياسية: علّمنا صلح الحسن أنه يجب توفير مقومات النصر والظفر التي نص عليها القرآن الكريم وسمّاها الإعداد، والإمام الحسن عليه السلام رغم حضوره ووجوده لم ينتظر النصر والتغيير من السماء، وإن الموقف لم تحسمه الملائكة، وإنما (قوانين التاريخ)، وسنن الله في الكون، هي التي تحرك المسيرة، نعم إن الله ينصر من ينصره ولكن مع عدم توفر شرائط النصر، ومع عدم توفر مقومات الحرب، فإنه لا مجال للنصر ولا إمكانية للحرب.

- **الدرس الثاني:** الصلابة المبدئية: يعتذر الكثير بـ (الواقعية السياسية) ليميّع أهدافه، أو يتحلل من التزاماته، لكن صلح أبي محمد الحسن عليه السلام يعلمنا كيف نتعاطى مع الظروف والخصم بواقعية، ولكن في كنف الالتزام العالي بالمبادئ.

- **الدرس الثالث:** لا مانع من حلول مرحلية مؤقتة: عندما تعوزنا الإمكانات فلسنا دائمًا في مستوى تحقيق أهدافنا البعيدة والكبيرة، فلا مانع إذا هادن المرء مؤقّتًا أو صالح، ولا بأس من تجرّع مرارة التنازلات أحيانًا في سبيل حفظ الأهداف الكبيرة والاستراتيجية.

(1) الإمام عبدالله بن حمزة: الشافي، ج1، ص505.

- **الدرس الرابع:** لابد من تشخيص دقيق لمرض الأمة وداء المجتمع: وفي ضوء ذلك نحدد هل الثورة هي الحل؟ أم السكون والهدوء؟ وبالمقابل دراسة وتحليل أهداف الأعداء أيضا.

- **الدرس الخامس:** حفظ الصالحين من أبناء الأمة وطلائعها المجاهدة مقصدٌ هام من مقاصد الدين: حينما يكون حفظهم حفظا للدين، وليس حينما يكون ضياعا للدين، والمعركة التي تحقق الأهداف قد تكون سلمية وقد تكون حربية، والقائد العلم هو من يتخذ القرار المناسب.

- **الدرس السادس:** يعلّمنا الإمام الحسن (عليه السلام) أن نمتلك وعيا مستقبليا، فلا ننفعل باللحظة التاريخية التي نعيشها، ولا نترك الظروف الراهنة الشديدة تسقطنا، بل لابد من الانعتاق من ضغط الحاضر الذي قد يفرض علينا تنازلات، بالتحديق الواعي للمستقبل والتخطيط له[1].

## 10 - أهل البيت يعودون إلى مدينة جدهم

عاد الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام إلى مدينة جدهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وعاش الإمام الحسن عليه السلام بعد هذه التسوية، تسع سنين وستة أشهر، إلى أن استشهد سلام الله تعالى عليه، وكانت خلافته ستة أشهر.

لقد أمضى بقية عمره الشريف في المدينة المنورة، متحملا مسؤولياته بحكم موقعه؛ باعتباره الامتداد لخط الهداية، في تبليغ الإسلام المحمدي الأصيل، ونشر العلم والوعي والمعرفة لأحكام الدين والمعارف الإسلامية بكل الفرص والوسائل المتاحة. وحافظ على أنصاره وأصحابه في كل البلدان، من خلال التدابير والإجراءات والاحترازات، وحتى أحيانا بالضغط على معاوية. وكان يبعث أصحابه إلى قبائلهم، وإلى مدنهم، وإلى قراهم، لينقلوا صوته الحق، وموقفه إزاء القضايا. وكان أيضا يقيم المناظرات القوية في المدينة، وأحيانا في الشام.

(1) الدروس مستفادة من كتاب (صلح الإمام الحسن من منظور آخر) للأسعد علي ص124 - 126.

وظل أبًا للفقراء والمساكين والمحتاجين، يعمل على قضاء حوائجهم وخدمتهم والإحسان إليهم، وكان يفيض بالخير والبر على الفقراء والبائسين، وينفق جميع ما عنده عليهم، وقد ملأ قلوبهم سرورا بإحسانه ومعروفه، ومن كرمه أنه جاءه رجل في حاجة فقال له: اكتب حاجتك في رقعة، وادفعها إلينا، فكتبها ذلك الشخص ورفعها إليه، فأمر عليه السلام بضعفها له. فقال بعض الحاضرين: ما كان أعظم بركة هذه الرقعة عليه يا ابن رسول الله؟ فأجابه عليه السلام: (بركتها علينا أعظم حين جَعَلَنا للمعروف أهلا، أمَا علمْتَ أنّ المعروفَ ما كان ابتداءً من غير مسألة، فأما مَنْ أعطيْتَه بعد مسألة فإنما أعطيته بما بذل لك من وجهه).

وقد كان سلام الله عليه في عاصمة جده كهفا منيعا لمن يلجأ إليه، وملاذا حصينا لمن يلوذ به، قد كرس أوقاته في قضاء حوائج الناس، ودفع الضيم والظلم عنهم، وكان يهتم بالمساكين، فيأكل معهم، ويقبل دعوتهم، ويدعوهم إلى داره، ويؤكّلهم بيده[1].

واستمر يقيم هذا الدور حتى ضاق به الظالمون ذرعا، ورأوه حجر عثرة أمام مآربهم الحقيرة، وآمالهم الشريرة، فخططوا لإزاحته من هذه الحياة، وهذا ما سنعرف تفاصيله في المبحث التالي إن شاء الله.

(1) أبو عواضة: من حياة الإمام الحسن عليه السلام، ص112 - 114.

# المبحث الثامن: استشهاده ودفنه

## 1 - جعدة .. مسممة زوجها الإمام

بعد أن حقَّقَ معاويةُ ما كان يصبو إليه من السلطة، ونال في دنياه ما اشتهى، بقيَتْ له فكرةٌ واحدةٌ تراودُه في جميع أوقاته، وهي جَعْلُ الخلافة في عقبه، وأن يَعْهَدَ بالولاية لابنه يزيد، وعلم أنه لا يتمكّنُ من إنجازِ هذه المهمة إلا بتغييبِ شخصيةِ الإمامِ الحسنِ الذي نصّت وثيقة الصلح على أن يكون الأمر له بعد معاوية، ولهذا أعدّ معاوية عدته للتخلُّص منه، وكان قد عُرِفَ عن معاوية تخلُّصُه من خصومه بطريقةٍ هادئةٍ وبالسُّم، فقرّر التخلص من الإمام الحسن بالطريقة التي تخلّص بها من كثير من الزعماء والمؤثِّرين في الساحة الإسلامية، ومنهم سعد بن أبي وقاص، وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد، ومالك الأشتر، وغيرهم.

لقد استعرض ابن أبي سفيان مَنْ يمكن اختراقه في جدار الإمام الحسن؛ لكي ينفذ هذه المهمة الخطيرة والقذرة، فوجد طَلِبَتَه الحقيرة عند زوجه جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي، فمنّاها أن يزوّجها ابنَه يزيد، وأن يقدِّم لها مائة ألف درهم، وكان حريًّا بهذه الأثيمة أن تستجيب لهذا العرض الشيطاني، فهي من أسرة انتهازية؛ فقد شَرِكَ والدُها الأشعثُ في دم أمير المؤمنين عليه السلام، وتولّت هي سَمَّ زوجِها الإمام الحسن، وشرك أخوها محمد في دم الإمام الحسين عليه السلام، ولعلها كانت مصابةً بالعُقَد النفسية؛ كونها لم تُرْزَقْ منه بولد، وتخشى أن يطلقها، فتخسر الدنيا التي كانت تطلبها، وباعت نفسها من أجلها.[1]

(1) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج2، ص468.

لقد كان المستفيدُ الأول من تغييب الإمام من الساحة هو معاوية وطموحاته الشريرة في توريث الحكم في عقبه[1]، وذكرت كثير من المصادر أن المنّي والمسوِّل لها على فعلتها الشيطانية، هو معاوية نفسه، ولكن في نفس الوقت هناك رواية تذكر أن يزيد نفسه هو الذي منّاها أن يتزوجها[2]، وليس بعيدا أن يكون ذلك كلُّه بترتيب معاوية، والغرض أن تتعدّد مصادر الإغراء لها من جهة معاوية، ومن جهة ولده يزيد؛ ليكون الأمر أدعى لها، وأكثر إقناعا وحدوة لها إلى ارتكاب جريمتها.

كما أن هناك روايات تتّهم زوجته الأخرى هند بنت سهيل بن عمرو[3]، وأخرى تتّهم أحد خدمه[4]، بأنه كان لهما دورٌ في عملية السم هذه، ولعل معاوية جنّد عددا كبيرا لهذه المهمة الحقيرة، فإذا فشلت خطةٌ ما فهناك خطة بديلة لها تضمن تحقيق الهدف، وقد تظافرت الروايات أن عملية السم هذه تكرّرت مرات، وفي بعضها: قال الإمام الحسن بأنه قد سُقِيَ السمَّ ثلاثَ مرات، وكانت الأخيرة أشدَّهن، حتى أنه دخل عليه أخوه الحسين عليه السلام يعوده، فدخل الحسن المخرج (مكان قضاء الحاجة)، وكان قد أصابه إسهالٌ شديد، ثم خرج يقول لأخيه: (لقد سُقِيْتُ السمَّ مرارا، وما سُقِيْتُه مثلَ هذه المرة)[5].

لقد أخزى الله تلك المرأة بفعلتها الشنعاء، وأصبحت مضرب المثل للسوء والخزي والإثم والخيانة، وظلّت تلاحقها لعنة هذه الجريمة، حتى بعد زواجها من شخصٍ آخر؛ إذ وُصِمَ أبناؤها بـ(أبناء مسمِّمَة الأزواج)، ثم لم يَفِ لها معاويةُ بزواجِ يزيد، حينما طلَبَتْ منه ذلك، بل وَرَدَّ عليها بسخرية واستهزاء قائلا: «إنا نُحِبُّ حياة يزيد، ولولا ذلك لوَفَيْنا لك بتزويجه»[6].

(1) ينظر الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص31.
(2) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص284.
(3) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص59.
(4) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص284.
(5) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص48.
(6) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج2، ص481.

وعلى أيةِ حالٍ، يجب الاعتراف أنّ أمن الإمام تعرَّض للاختراق بشكل خطير، ومن أقرب الناس إليه، وهذا إن دلَّ على شيءٍ فإنما يدل على الخطر الذي كان يحدق بالإمام الحسن، وعلى خطورة اختراق زوجة القائد وقريبه، وعلى خطورة تجنيد أحدِ المقرَّبين على قائدهم، وعلى خطورة اختراق الدائرة الأمنية الضيّقة لأعلام الهدى، وقادة الأمة، وإن يكن من درس للمرتزقة والمختَرَقين لحساب الشيطان وأوليائه فهو أنه يجب عليهم أن يعلموا أنهم خاسرون بكل المقاييس، وأن العدوَّ لن يثق فيهم، ولن يمنحهم وُدَّه، وسينظرُ إليهم بعين الاحتقار والازدراء مهما قدّموا له من أثمان باهظة، وخسروا دينهم وآخرتهم من أجله.

ومن المفيد الإشارة إلى ما أُثِرَ عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بأنه كان يقبِّل الإمام الحسن عليه السلام في فمه، ويقبل الإمام الحسين عليه السلام في نحره، في إشارة واضحة منه إلى المكان الذي تصل منه الشهادة إلى جسديهما الشريفين، وإعلاما منه عن تعاطفه معهما، وعن تأييده لهما في مواقفهما وقضاياهما.[1]

## 2 - إلى الرفيق الأعلى

اشتدّ بالإمام عليه السلام الوجع، فأخذ يعاني آلامَ الاحتضار، فعلم أنَّه لم يبق من حياته الغالية إلا بضعُ دقائق، فالتفت إلى أهله قائلا: (أخرجوني إلى صحن الدار، أنظر في ملكوت السماء)، فحملوه إلى صحن الدار، فلمّا استقرَّ به رَفَعَ رأسَه إلى السماء، وأخذ يناجي ربّه، ويتضرّع إليه قائلا: (يا الله إني أحتسب عندك نفسي، فإنها أعزُّ الأنفس عليّ، لم أُصَبْ بمثلها، اللهم آنِسْ صَرْعَتي، وآنِسْ في القبر وَحْدَتي). ثم حضر في ذهنه غدرُ معاوية به، ونكثُه للعهود، واغتيالُه إياه، فقال: (لقد حاقَتْ شَرْبَتُه، والله ما وَفَىَ بما وعد، ولا صدق فيما قال).[2]

(1) العاملي: الحياة السياسية للإمام الحسن عليه السلام، ج3، ص9.
(2) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج2، ص481 - 482، نقلا عن عدد من المصادر.

وأخذ يتلو آيًا من الذكر الحكيم، ويبتهل إلى الله ويناجيه حتى فاضَتْ نفسُه الزكية إلى جنة المأوى، وسمَتْ إلى الرفيق الأعلى، تلك النفس الكريمة التي عزّ نظيرها فيما مضى من سالف الزمن، وفي ما هو آتٍ، حلمًا وسخاءً وعلمًا وعطفًا وحنانًا وبرًّا على الناس جميعا. لقد مات حليم المسلمين، وسيد شباب أهل الجنة، وريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله.

توفي سلام الله عليه لخمسٍ خلون من شهر ربيع الأول[1]، سنة خمسين للهجرة، وعمره سبع وأربعون سنة، وقيل غير ذلك[2].

## 3 - تشييع الإمام

حلّت فاجعة كبيرة على المسلمين بفقدهم ابن رسول الله، وسيد شباب أهل الجنة، ورثاه أهل بيته شعرا ونثرا، وممن رثاه الشاعر النجاشي، قائلا:

يا جَعْدُ بكّيه ولا تسأمي ... بكاءَ حقٍّ ليس بالباطل
على ابن بنت الطاهر المصطفى ... وابن ابن عم المرسل الفاضل
كان إذا شُبَّت له نارةٌ ... يرفعها بالشرف القابل
لكي يراها بائسٌ مُرْمِلٌ ... أو فردُ حيٍّ ليس بالآهل
يغلي بنيِّ اللحم حتى إذا ... أنضج لم يَغْلُ على الآكل
لن تُغْلِقي بابا على مثله ... من حافيٍ يمشي ولا ناعل
أعني فتىً أسلَمَه قومُه ... للزّمنِ المُسْتَخْرَجِ الماحل
نِعْمَ فتى الهيجاء يومَ الوغى ... والسيِّد القائل والفاعل

ثم كان تشييع الإمام تشييعا حافلا لم تشهد نظيره عاصمة الرسول الأكرم، فقد بعث أهلُ البيت إلى العوالي والقرى المحيطة بيثرب يخبرونهم بموت الإمام، فنزحوا جميعا إلى يثرب؛ ليفوزوا بتشييع الجثمان العظيم، وقد حدَّث ثعلبة بن مالك عن كثرة المشيِّعين، فقال: «شهدْتُ الحسن يوم مات، ودُفِنَ في البقيع، ولو طُرِحَتْ فيه

(1) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص64.
(2) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص225؛ والبلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص64؛ والهاروني: الإفادة، ص37.

إبرةٌ لَما وقعَتْ إلا على رأس إنسان»، وقد بلغ من ضخامة التشييع أن البقيع ما كان يسع أحدا من كثرة الناس[1]، وحُقَّ على المسلمين أن يَخِفُّوا لتشييع حفيد نبيهم الذي تكفّل بصالحهم، وعال ضعيفهم وعاجزهم، وأوقف نفسه على البر والمعروف إليهم.

## 4 - فتنة الدفن ويوم البغل

لما علم الأمويون أن مواكب التشييع تتجه نحو المرقد النبوي ليواروه بجوار النبي صلى الله عليه وآله، تكتلوا، وانضمَّ بعضهم إلى بعض، ودفعَتْهم الأنانية والعداء لأهل البيت إلى إحداث المعارضة والشَّغَبِ في دفن الإمام بجوارِ جدِّه، وأخذوا يهتفون بلسان واحد: «يا رب هيجا هي خيرٌ من دعة أيدفن عثمان بأقصى المدينة، ويدفن الحسن عند جده؟».

ويبدو أن عائشة في أول الأمر لم تكن تمانع من دفن الإمام الحسن بجوار جده، لكن بني أمية هم الذين جاءوا يحرضونها[2]؛ فقد أتاها مروان يستفزّها في أخطر شيء لديها، وهو مكانة أبيها، وقد عرف دخيلة نفسها، وما تُكِنّه من المَوْجِدَة والغِيرة والحَسَد لولدِ عليٍّ وفاطمة قائلا لها: يا أمَّ المؤمنين إنَّ الحسين يريدُ أن يدفن أخاه الحسن مع رسول الله، والله لئن دُفِنَ الحسنُ بجوار جدِّه ليذهبَنَّ فخرُ أبيك وصاحبِه عمر إلى يوم القيامة.

لقد دقّ مروان على الوتر الحساس لدى عائشة؛ إذ تجاوَزَتِ المسألةُ حدودَ أن يُدْفَنَ الإمامُ الحسَنُ بجوار جده، إلى أهمية الحفاظ على رمزية أبي بكر وعمر، التي كانت مسألة مهمة بالنسبة لعائشة، وكان يتّكِئُ عليها الحكم الأموي؛ باعتبارهما أول مَنْ هضم أهل البيت حقّهم، وأن بني أمية إنما يسلكون الطريق التي افتتحاها؛ ولذلك فاستفراد أبي بكر وعمر بحقّ أن يُقْبَرا وحدهما بجوار الرسول صلى الله عليه وآله كان ذا مغزى سياسي قبل أي شيء آخر، يستفيد منه بنو أمية في تثبيت دعائم حكمهم، وهي فكرة استثارت عائشة؛ إذ تتعلق بتعظيم الشيخين، وتهوين مقام أهل البيت،

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص297.
(2) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص289.

قال نملة بن أبي نملة معللا عدم السماح بدفن الحسن بجوار جده: «أعظمَ الناسُ يومئذ أن يُدْفَنَ معهم أحدٌ، وقالوا لمروان: أصبت يا أبا عبدالملك لا يكون معهم رابع أبدا»[1].

لقد ألهبت هذه الكلمات نار الثورة في نفس عائشة، فاندفعت لمناصرتهما، ولمّا رأى محمد بن الحنفية موقفها المرير انبرى إليها بكلماتٍ تقطر غضبا، وقال لها: «يا عائشة، يوما على جمل، ويوما على بغل». وانعطف نحوها ابنُ أخيها القاسم بن محمد بن أبي بكر، فزجرها وردعها عن موقفها قائلا: «يا عمة، ما غَسَلْنا رؤوسَنا من يوم الجمل الأحمر، أتريدين أن يقال يوم البغلة الشهباء؟»[2].

لقد بدا مروانُ متصدّرا مشهدَ منْعِ دفن الإمام الحسن عند جده، وكأنّ الأمر كان من تلقاء نفسه[3]، إلا أنه من غير المعقول أن يتصدّر ذلك الموقف الخطير من غير إرادة معاوية، لـ: 1 - أن هذه الحادثة تشبه أن تكون من بنات أفكار معاوية، 2 - وبدليل أن معاوية كان على علم بتطورات المدينة أولا بأول، بل قد ورد أن مروان أَبْرَدَ (أرسل البريد) إلى معاوية يخبره بموت الحسن، وأنهم يريدون دفنه مع النبي صلى الله عليه وآله، ووعده أنهم لا يصلون إلى ذلك أبدا، وهو حي، 3 - ولما بلغ خبر منع دفن الجثمان بجوار جده إلى معاوية، استحمد فعل مروان، وقال مرتين: «إيها مروان أنت»[4]، 4 - ثم هو يريد تحقيرَ أهلِ هذا البيت وإضعافَ شأنهم، وإبعادَهم عن جدِّهم الرسول صلى الله عليه وآله، باعتبار ذلك من ضرورات بقاء حكمه، بل ووصل به الحال إلى قتلهم، وهذه الحادثة أتت كاستكمال لهذا الهدف الذي كان يسعى دائما إليه، 5 - بل لقد صرّحت رواية البلاذري أن معاوية هو الذي كتب إلى مروان يأمره بعدم دفن الحسن بجوار جده، قائلا: «إذا مات الحسن فامنع من ذلك أشدّ المنع، كما مُنِعْنا من دفن عثمان مع النبي صلى الله عليه وآله»[5].

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص293.
(2) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2، ص225.
(3) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص290.
(4) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص291؛ والمحلي: الحدائق الوردية، ج1، ص183.
(5) البلاذري: أنساب الأشراف، ج3، ص62.

من جهة أخرى كان الإمام الحسين عليه السلام قد انتهى إلى قبر جده صلى الله عليه وآله فقال: (احفروا ههنا)، فصاح مروان في بني أمية، ولبسوا السلاح، وقال: لا كان هذا أبدًا، فقال له الحسين: (يا ابن الزرقاء، ما لك ولهذا، أوالٍ أنت؟)؛ وهذا ما جعل الإمام الحسين يستدعي حلف الفضول، فاجتمعت هاشم، وتيم، وزهرة، وأسد، وبنو جعونة بن شعوب، من بني ليث، وحصلت بينهم مراماة[1]، وكان الإمام الحسين يلعب على حافة المواجهة ليكشف مواقف أولئك الأعداء من بني أمية ومن معهم ويفضحهم على حافة القبر وعلى رؤوس الأشهاد.

ولما رأى أهلُ البيت منْعَ بني أمية لهم من دفن الإمام الحسن بجوار جده انحاز كلٌّ منهما في جانب، وهمَّ بعضُهم على بعضٍ بالهجوم، التفت الإمام الحسين عليه السلام إلى الأمويين فقال لهم: (والله لولا عهدُ الحسن إليّ أن لا أهريقَ في أمره محجمة من دم لعلمتم كيف تأخذ سيوفُ الله منكم مأخذها، وقد نقضْتُم العهدَ الذي بيننا وبينكم، وأبطلْتُم ما اشترَطْنا عليكم لأنفسنا)[2].

لقد كانت خطة الدفن بهذين الخيارين، من عبقرية الإمام الحسن عليه السلام نفسه؛ حيث أوصى أن يُدْفَنَ عند جده إلا أنَّ يراق بسبب ذلك محجمة دم فيُدْفَن عند أمه في البقيع[3]، وكان إخراج هذه الخطة العبقرية وتنفيذها على يد أخيه الإمام الحسين عليه السلام؛ لقد أراد الإمامان معا أن يكشفا بني أمية، وأن يفضحا أيّ تعاطف زائف قد يبديه الأمويون أو حتى أم المؤمنين عائشة في هذه الحالة الوجدانية التي كانت تقتضي في عادة العرب المجاملات والموادعات، وقد نجحت هذه الخطة العبقرية في كشف هؤلاء على حقيقتهم، وجعلتهم يخرجون عن طورهم إلى حد الاستعداد للقتال في سبيل منع حقٍّ طبيعي لرجل كريم من أهل البيت يريد أن يدفن جثمانه في بيت جده الذي له حقٌّ فيه.

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص292..
(2) القرشي: حياة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام، ج2، ص484 - 485، 490 - 491.
(3) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص49.

أظهرت روايات كثيرة مدى حماس الإمام الحسين وإصراره على ضرورة دفن أخيه عند جده، وصولا إلى حافة الهاوية، وأوشك على المواجهة معهم، ولعب على هذه الحافة بمهارة فائقة، حتى إذا تحوَّلَتِ القضيةُ إلى قضية مشهودةٍ ورأيٍ عامٍّ، واستدعى فيها الإمامُ الحسينُ حلفَ الفضول لمواجهة الأمويين، وتبيّن للجميع أن هذه السلطة ورموزها لا يحترمون حقا لآل محمد، حتى في أيام الأحزان، وتبيّن للناس عداوتهم للدين وأهله، وظهروا على حقيقتهم بشكلٍ لا مواربة فيه، أطاع الحسينُ، يقول أحد الحاضرين: «فأطاع حسينٌ بعد أن ظنَنْتُ أنه لا يطيع، فاحتملناه حتى وضعناه بالبقيع»[1].

وهكذا يعلمنا أعلام أهل البيت الاستثمار في كل القضايا بطريقة حكيمة، والاستفادة منها، لا سيما في فضح من يتستر بحبهم، وحب جدهم؛ ليكون ذلك شاهدا على خطأ سلوكه، ومشروعه، ومواقفه.

## 5 - مكان قبره ووداعه

لقد دفن عليه السلام جنب أمه فاطمة في مقبرة البقيع[2]، والمكان مشهور مزور؛ قال الإمام عبدالله بن حمزة: «وقبره بالمدينة مشهور مزور إلى جنب أمه فاطمة عليهما السلام»[3].

ومن الكرامات التي يحدثنا التاريخ بها، أن الله انتصر لجثمانه المقدس من بعض المستهزئين، حينما أحدَث على قبره، قال الأعمش: أحدث رجل على قبر الحسن، فجُنَّ، فجعل ينبح كما تنبح الكلاب[4].

وهكذا لحق الإمام الحسن عليه السلام بأبيه وجده في عليائهم، بعد حياة حافلة بالجهاد والتضحية والمعاناة والآلام، وباستشهاده عليه السلام خلا الجو لبني أمية أكثر مما قد حصل لهم من قبل، فواصلوا مسيرة انحرافهم في الدين، وتحريف مفاهيمه، وقدّموا للأمة إسلاما مشوَّها ناقصا مبتورا من أسسه المهمة، لا يعبرّ أبدا

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص293.
(2) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ص48.
(3) الشافي، ج1، ص509.
(4) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج13، ص305.

عن الإسلام الذي جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وآله، وسخَّروا ما تبقَّى منه لتدجين الأمة واستعبادها باسم الدين، فاتَّخذوا عباد الله خولا لهم، ومالَ الله دولاً فيما بينهم، وعملوا على ظلم الأمة وقهرها بكل الطرق والوسائل.

ووصل الحال في الساحة الإسلامية إلى أن صار الحق لا يُعْمَلُ به، والباطلُ لا يُتَنَاهى عنه، كما شخّص ذلك الإمام الحسين عليه السلام، وهذا الحال هو ما دفع بالإمام الحسين عليه السلام إلى التحرك والثورة؛ ليواصل مسيرة أبيه وأخيه، وقبل ذلك مسيرة جده رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

فسلام الله على إمامنا العظيم، أبي محمد الحسن، يوم ولد، ويوم استشهد، ويوم يبعث حيا، ونسأل الله أن يحشرنا في زمرتهم، وأن يرحم شهداءنا، ويشفي جرحانا، ويفرج عن أسرانا، وينصرنا بنصره إنه سميع الدعاء.

(1) أبو عواضة: من حياة الإمام الحسن عليه السلام، ص118 - 119.

# تقويم الفصل الثاني

**أولا: ضع علامة (صح) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (خطأ) أمام العبارة الخطأ، مع تصحيح الخطأ إن وجد**

1 - وُلِدَ الإمام الحسن عليه السلام بالمدينة للنصف من شهر شعبان سنة ثلاث من الهجرة.

(      ) ..........................................................................................

2 - الغاية الأهم في معرفتنا كيفية تربية الرسول صلى الله عليه وآله لولديه الحسن والحسين هو إثبات عبقرية وعظمة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.

(      ) ..........................................................................................

3 - كان الجمهور المشجع للطفلين الحسن والحسين في حلبة صراعهما هما الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام.

(      ) ..........................................................................................

4 - قائل عبارة: (نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما) هو جابر بن عبدالله الأنصاري.

(      ) ..........................................................................................

5 - احتج الإمام الحسن بحديث الغدير على أحقية والده بالولاية بعد موادعته لمعاوية.

(      ) ..........................................................................................

6 - أنفع طرق التعليم التي أشار إليها القرآن الكريم في قصة موسى والعبد الذي آتاه الله العلم من جهة، والإمام علي من جهة أخرى، هي: تحضير الطالب لدروسه جيدا.

(      ) ..........................................................................................

7 - أكبر أولاد الإمام الحسن عليه السلام هو زيد بن الحسن.

(      ) ..........................................................................................

8 - حاول معاوية أن يفرق بين الإمام علي وولده الحسن وأرسل لهذه المهمة القذرة عبدالله بن عمر بن الخطاب.

(      ) ..........................................................................................

9 - تصدِّي الحسن لتفنيد شبهة التحكيم بأمر والده يفيدنا بضرورة عدم السماح للشبهات بالانتشار والتصدي لها إعلاميا.

(     ) ..................................................................................

10 - أخذ الإمام الحسن عليه السلام شرعية إمامته من خلال بيعة بقية المهاجرين والأنصار له.

(     ) ..................................................................................

11 - كان يوجد في جيش أهل العراق مع الإمام الحسن عليه السلام من كان على رأي الخوارج.

(     ) ..................................................................................

12 - سيطر معاوية معلوماتيا على كل ما كان يجري في معسكر أهل العراق.

(     ) ..................................................................................

13 - كانت إشاعات معاوية الإعلامية تؤثر سلبيا في معنويات الجيش العراقي بسببٍ حصريٍّ وهو تعدد مكونات هذا الجيش.

(     ) ..................................................................................

14 - كان الجيش العراقي على جهوزية عالية لمواجهة جيش معاوية لولا خيانة عبيدالله بن العباس.

(     ) ..................................................................................

15 - استطاع قيس بن سعد بما بقي من جيشه التصدي لجيش معاوية لمدة أربعين يوما.

(     ) ..................................................................................

16 - كان من أبرز أسباب ضعف الجيش العراقي أيام الإمام الحسن سأمه من الحروب السابقة.

(     ) ..................................................................................

17 - صعوبة مواجهة الباطل في أيام الإمام الحسن لها علاقة بوضعيات التقصير السابقة في عهد الإمام علي.

(     ) ..................................................................................

18 - لو كان الإمام الحسين مكان أخيه الحسن لسلك طريق الموادعة، ولو كان الإمام الحسن مكان أخيه الحسين لسلك طريق الثورة.

(　　) ..........................................................................................

19 - لم تتحقق حضارة إسلامية مكتملة في عهد الإمام الحسن على الرغم من وجود القيادة والعلم والمنهج والأتباع المخلصين الواعين.

(　　) ..........................................................................................

20 - اشترط الإمام الحسن في عقد الصلح أن لا يسلم على معاوية بإمرة المؤمنين، ولا يقيم شهادة عنده.

(　　) ..........................................................................................

21 - حمَّل قيس بن سعد مسؤولية ما آلت إليه الأوضاع الإمامَ الحسن واتّهمه بالتساهل مع الإمام علي عليه السلام.

(　　) ..........................................................................................

22 - من الأسباب التي دعت معاوية لأن يعلن نقضه للعهد الذي بينه وبين الإمام الحسن هو تعويد الناس على أنه سيسلك بهم طريقة منحرفة عن الإسلام بشكل واضح.

(　　) ..........................................................................................

23 - نصوص أئمة أهل البيت تشير إلى أن موقف الإمامين الحسين والحسين من الصلح والثورة متناقضان.

(　　) ..........................................................................................

24 - بيئة جعدة بنت الأشعث وتاريخ أسرتها ساعداها على ارتكاب جريمة قتل الإمام الحسن عليه السلام.

(　　) ..........................................................................................

25 - في قضية دفن الإمام الحسن عليه السلام لعب الإمام الحسين على حافة المواجهة مع بني أمية لتعريتهم وفضح إسلامهم وإنسانيتهم.

(　　) ..........................................................................................

26 - توفي الإمام الحسن عليه السلام في 5 شهر ربيع الأول سنة 49هـ على الأرجح.

(　　) ..........................................................................................

## ثانيا: ضع دائرة حول الإجابة الصحيحة:

**1 - الأدب العظيم والبداية الموفّقة التي يبدأ بها المولود حياته هو:**

أ - الأذان والإقامة ب - التحنيك ج - العقيقة

**2 - حظي الطفلان الحسن والحسين بما لم يحظ به طفل في تربيتهما من حيث:**

أ - كون المربين كلا من الرسول والإمام علي والزهراء عليهم السلام ب - كون جبريل عليه السلام من رواد البيت الذي تربّيَا فيه ج - كل من (أ) و(ب) صحيح.

**3 - تربية التزكية للأولاد بأن:**

أ - لا يأكلوا إلا ما كان حلالا لهم ب - أن يُجْبَروا على تزكية أنفسهم ج - أن يُجْبَروا على دفع الزكاة التي تلزمهم

**4 - التعليل الصحيح لوصف الرسول صلى الله عليه وآله لولديه الحسن والحسين بأنهما (ريحانتاه) هو:**

أ - كثرة شمّه لهما وسعادته بذلك كعادة الآباء مع أبنائهم ب - كونهما جهة تدخل السرور عليه ج - كل ما سبق صحيح

**5 - قائل عبارة: «أوليس مما أنعم الله به عليَّ أن أمسك لهما [أي الحسن والحسين] الركاب، وأسوّي عليهما الثياب» هو:**

أعبدالله بن العباس ب - مدرك بن أبي راشد ج - مدرك مولى الإمام الحسن

**6 - الذي طلب النزول عن منبر أبيه هو:**

أ - الحسن لأبي بكر ب - الحسين لعمر بن الخطاب ج - كل ما سبق صحيح

**7 - قول الحسن لأبي بكر: (انزل عن منبر أبي) يدل على:**

أ - أن أطفال آل محمد يعرفون ثقافة الولاية ب - ضرورة تعليم الأبناء أساسيات الإسلام ج - كل ما سبق صحيح

**8 - إلحاق عمر للحسنين بأهل بدر في فريضة العطاء يقصد به:**

أ - تلميع سلطة الانقلاب لنفسها بالإحسان إلى أهل البيت ب - من باب إخراج الله ما يكتمون من فضائل أهل البيت ج - كل ما سبق صحيح

**9 - أم الحسن المثنى بن الحسن السبط هي:**

أ - خولة بنت منظور الفزارية ب - أم بشير الخزرجية ج - جعدة بنت الأشعث الكندية

**10 - نستفيد من ترفق الحسن عليه السلام بأبي موسى والي الكوفة أولا ثم حسم دائه على يد الأشتر النخعي:**

أ - أن نبدأ أولا بالرفق ج - ضرورة إزاحة القيادات والكوادر المؤثرة سلبا د - كل ما سبق صحيح

**11 - قائل عبارة: «وهذا ابْنُه وابنُ رسولِ الله، وأولى عباد الله اليوم بهذا الأمر» قبيل بيعة المسلمين للإمام الحسن، هو:**

أ - عبدالله بن العباس ب - قيس بن سعد بن عباده ج - عدي بن حاتم الطائي

**12 - رغم الحماس المؤقت الذي أبداه جيش العراق بعد مقتل الإمام علي عليه السلام إلا أنهم سرعان ما ظهر فيهم أوّلُ مؤشِّراتِ التخاذُل حينما:**

أ - خطب فيهم الحسن داعيًا لهم إلى الخروج للجهاد ب - شكَّل قيادة الجيش في دير عبدالرحمن ج - حينما خانه عبيدالله بن العباس

**13 - شرطة الخميس قوات خاصة تمتاز بالإخلاص، أول من شكّلها:**

أ - الإمام علي بن أبي طالب ب - الإمام الحسن بن علي بن أبي طالب ج - الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب

**14 - بدأت خياناتُ بعض أشراف أهل العراق، وبيع ضمائرهم لمعاوية:**

أ - منذ حياة الإمام علي بن أبي طالب ب - بعد بيعة الإمام الحسن خليفة ج - بعد أن طُعِنَ الإمامُ الحسنُ في مظلم ساباط

**15 - الحقيقة المُرَّة أنّ:**

أ - معاوية استطاع أن يحارب الإمام الحسن من داخل جيشه ب - معاوية أعد جيشا قويا انتصر به على أهل العراق ج - أن يحاول أحد الخوارج اغتيال الإمام الحسن

**16 - أحد الشخصيات التالية لم يكن من شيعة الإمام علي وولده، وهو:**

أ - عدي بن حاتم الطائي ب - عمرو بن الحجاج الزبيدي ج - رشيد الهجري

**17 - الأسباب الرئيسة التي صنعت هزيمة جيش الإمام الحسن أمام معاوية، هي:**

أ - ضعف جيش الإمام ب - قوة جيش العدو ج - كل ما سبق غير صحيح

**18 - وافق معاوية على جميع بنود الشروط التي اشترطها الإمام الحسن عليه السلام؛ لأنه:**

أ - كان ينوي الالتزام بها لكونها طبيعية وغير مكلفة ب - كان ينوي الغدر بها من أول وهلة ج - كان همه الوصول إلى السلطة فقط.

**19 - اشتراط الحسن تحصيل خراج (فسّا) و(دارابجرد) لتوزيعه على أيتام شهداء الجمل وصفين حقق:**

أ - إثبات أنه الإمام؛ لأنهما من الأراضي التي فتحت صلحا وهي للإمام ب - إظهار أحقية الإمام علي في حربي الجمل وصفين ج - كل ما سبق

**20 - من معالم الحق، وبراهين الحجج، التي يقيمها الله لأمته بشأن انحراف معاوية:**

أ - حادثة خالد بن عرفطة ب - مقتل عمار بن ياسر على يد الفئة الباغية ج - كل ما سبق صحيح

**21 - صلح الإمام الحسن:**

أ - يتعارض مع ثورة الإمام الحسين ب - يؤسِّسُ لثورة الإمام الحسين ج - لا علاقة له بثورة الإمام الحسين

**22 - حادثة سَمِّ الإمام الحسن على يد زوجته جعدة بنت الأشعث تفيدنا:**

أ - خطورة اختراق الدائرة المقربة من القائد ب - المنافقون والخونة مذبذبون لا يثق بهم أحد في نهاية المطاف ج - كل ما سبق

**23 - كان الرسول صلى الله عليه وآله يُقبِّلُ فم الإمام الحسن، ونحر الإمام الحسين، في إشارة منه واضحة إلى:**

أ - تأييده لمواقف كلٍّ منهما وتعاطفه معهما ب - المكان الذي يأتي منه استشهاد كل واحد منهما ج - كل ما سبق صحيح

**24 - كان سبب تحرُّكِ عائشة مع بني أمية لمنع دفن الإمام الحسن بجوار جده الرسول صلى الله عليه وآله هو:**

أ - الحفاظ على مكانة والدها وصاحبه عمر ب - تهوين مقام أهل البيت عليهم السلام ج - كل ما سبق صحيح

25 - دفن الإمام الحسن عليه السلام في:

أ - البقيع    ب - بجوار قبر أمه فاطمة عليها السلام    ج - كل ما سبق صحيح

## ثالثا: أكمل بالعبارة المناسبة الفراغات التالية:

1 - قال الإمام الحسن عليه السلام: (تعلّموا العلم، ........... ............... ..............، و .............. ........، ومن ...............................................................).

2 - قال الإمام علي لما رآه ولده الحسن يتسرّع لخوض غمار حرب صفين: (املكوا عني هذا الغلام، ........ ..................، فإنني ......... ................ - يعني .......... و ............... - ........ ...............؛ لئلا ينقطع ..... ........... ............ ................).

3 - قال الإمام الحسن لما جُرِحَ لأهل العراق: (قتلتم ......... ..............، ووثبتم ........... ............... ........... ................، ................. في العادلين، و............. في القاسطين، والله لتعلمُنَّ نبأه بعد حين).

4 - قال الإمام علي عليه السلام لأصحابه المتخاذلين: (وإني والله لأظنُّ هؤلاء القوم سيُدالون منكم؛ بـ ................ على ................، و ................. ......... .................، وبمعصيتِكم ................ ..........، ................ وطاعتِهم .............. ......... ................، و.................. ................. ...... ..................، وخيانتكم، وبصلاحهم في بلادهم و......................).

## رابعا: الأسئلة المقالية

س1: عدد أربعا من آداب الولادة التي حرص رسول الله صلى الله عليه وآله على تطبيقها على ابنه الحسن عليه السلام.

س2: اشرح أربعا من أنواع التربية التي تلقاها الإمام الحسن عن جده الرسول صلى الله عليه وآله؟

س3: علل استمرار رسول الله في تعويذ ولديه الحسن والحسن من (كل شيطان وهامَّة وعين لامَّة)؟

س4: عدِّد أربع قضايا تتعلق بهذا المقرر وقد أوصى بها الإمام علي ولده الحسن عليهما السلام في الوصية التي شرحها سماحة السيد القائد العلم.

س5: اكتب أربعة مناقب للحسن والحسين عليهما السلام.

س6: اذكر أربعة أساليب تربوية قام بها الرسول صلى الله عليه وآله مع ولديه الحسن والحسين تستفيدهما في تربيتك لأولادك، ورتبها حسب أهميتها.

س7: اذكر أربع فضائل ومناقب خاصّة بالإمام الحسن عليه السلام.

س8: لماذا لم يتحول التعظيم والإجلال الكبير للإمامين الحسن والحسين من قبل عامة المسلمين إلى مواقف وسلوكات عملية؟

س9: اذكر ثلاثة مصاديق لقول الرسول صلى الله عليه وآله عن الحسن والحسين عليهما السلام: (دعْهما يتمتَّعان مني، وأتمتَّع منهما؛ فإنه سيصيبُهما بعدي أثرةٌ):

س10: كيف واجه الإمام الحسن عليه السلام الفساد الإداري والمالي الذي مارسته سلطة عثمان بن عفان؟ وكيف تستفيد منه أنت في مواجهة الفساد المالي والإداري اليوم؟

س11: لأولادنا مواهب فطرية .. ما الآليات التربوية التي يجب أن نتخذها لكي يستفيدوا من هذه المواهب على الشكل الأفضل، على ضوء ما فعله الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي والزهراء مع ولدهما الحسن عليهم السلام ؟

س12: عدّد أربعا من نقاط أخلاق الإمام الحسن عليه السلام التي نستفيدها في واقعنا اليوم.

س13: اذكر ثلاثة مواقف للإمام الحسن برز فيها إحسانه وجوده للناس.

س14: اذكر أربعة أدلة على أن الإمام الحسن عليه السلام لم يكن كثير الزواج كثير الطلاق، ومن أول من اختلق هذه الفرية؟ ولماذا؟

س15: كيف تُقَيِّمُ دورَ الإمام الحسن عليه السلام في حياة والده؟ وما المجالُ الذي برز فيه دورُه بشكل واضح؟ ما التوصيف المعاصر الذي يوصّف دوره ذلك، واذكر مثالين على ذلك.

س16: حلل خطبة الحسن في عرصة معركة الجمل في الرد على أكاذيب ابن الزبير، مبينا النقاط التي فندها، ومميزات طرحه ذلك.

س17: حلل خطبة الإمام الحسن بعد موت والده وقبل بيعته، مبينا أبرز أربع قضايا ومبادئ أكّد عليها فيها، مما تفيدنا اليوم في واقعنا، ونحتاج إلى التذكير بها، معللا تخصيصها بالذكر في تلك الخطبة.

س18: ماذا كان يريد الإمام الحسن من نصِّ بيعةِ المسلمين له بأن يكونوا حربا لمن حارب، وسلما لمن سالم؟ وكيف أثّر هذا النص على عبقريته؟ وما المبدأ الذي أراد الإمام أن يكسب المبايعين من خلاله؟

س19: قام الإمام الحسن بخطوتين تفيدان اعتزامه لخوض معركة الجهاد ضد معاوية، ما هما؟ وما الآثار والنتائج التي أراد تحقيقها من خلالهما؟ وكيف لنا أن نستفيد منهما في واقعنا العملي؟

س20: ادرس وصية الإمام الحسن العبقرية لقائد جيشه عبيدالله بن عباس من الناحية العسكرية، وحدِّدْ أهم التوجيهات الهامة فيها، وأبرز المخالفات التي ارتكبها عبيدالله مخالفة لها.

س21: قارن بين جيش الإمام الحسن وجيش معاوية، من حيث الإمكانات، والعدد، والروح المعنوية، والإخلاص، والتسليم للقيادة.

س22: أغرق معاوية معسكر وأصحاب الإمام الحسن بالإشاعات والتشكيك في مواقف بعضهم، اذكر ست خطوات قام بها في هذا الصدد.

س23: عدد أربعة من أبرز أسباب خيانة عبيدالله بن العباس لإمامه الحسن، وكيف يمكن أن تتكرر حالة عبيدالله اليوم في واقعنا؟

س24: شخّصْ نقاطَ الضعف في جيش الإمام الحسن، وما السيناريو الذي كان سيحدث لو لم تكن نقاط الضعف هذه موجودة؟ اشرح ذلك مع التمثيل والمقارنة.

س25: على ضوء خطورة الإعلام المعادي الذي أطلقه معاوية لتفتيت جبهة الإمام الحسن الداخلية .. شخص نقاط قوة هذا الإعلام، ونقاط ضعف جبهة الإمام الحسن، وضع المقترحات والحلول لتلافي وقوع مثل ذلك في الحاضر والمستقبل.

س26: يعتبر (السأم من الحروب) من أسباب ضعف الجيوش والأمم، ما أسباب سأم جيش الإمام الحسن؟ ثم برأيك ما الذي يحول دون أن يسأم المجاهدون اليوم؟

س27: خطب الإمام علي في أصحابه، وتذكّر غياب أبرز القادة المؤثرين من أصحابه، فقال: (أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبّروا الفرْضَ فأقاموه، أحيَوا السنة، وأماتوا البدعة، دُعُوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتّبعوا)، حلل هذا النص من حيث أهمية وجود القادة المؤثرين في الساحة، وارتباطهم بالقرآن، وبقاء روحيتهم الجهادية عالية، واتباع القائد والتسليم له.

س28: هناك أوجُهُ شبهٍ بين وضعيتنا اليوم ووضعية أهل العراق في القبول بإشاعات العدو، حدِّد أربع نقاط منها، وارصد أربع إشاعات تأثر بها بعض قليلي الوعي اليوم كما تأثر بمثلها أولئك.

س29: عدد أسباب ومظاهر قوة جيش معاوية، وما الذي ينطبق منها اليوم على جيش تحالف العدوان السعودي الأمريكي الإماراتي؟

س30: حدد أسباب وعوامل اقتناع الإمام الحسن بموادعة معاوية، واقترح لكل منها نسبة مئوية ضمن المئة في المئة.

س31: اشرح علاقة ثورة الإمام الحسين في كربلاء بصلح الإمام الحسن عليهما السلام شرحا ضافيا.

س32: اشترط الإمام بعض القضايا البروتوكولية في صلحه مع معاوية، اذكرها، وماذا نستفيد منها حينما تريد السعودية أن نقبل بها وسيطا في تفاهمات السلام بيننا وبينها، مقابل قيامها بالتعويض والإعمار والجبر.

س33: كيف تقيم دور قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري في جهاده مع الإمام الحسن؟ ولماذا؟ وما الشواهد على تقييمك؟ وأين تجد نظراء قيس في مسيرتنا القرآنية؟

س34: اكتب ثلاثة من الدروس المستفادة من صلح الإمام الحسن، واستشهد على كل واحد منها بشاهد من أحداث عصرنا.

س35: استنتج أربعة دروس من حادثة سم جعدة بنت الأشعث لزوجها الإمام نستفيد منها في واقعنا اليوم.

س36: ما الشواهد على أن معاوية كان السبب وراء منع دفن جثمان الإمام الحسن بجوار جده، واذكر شاهدين على طريقته تلك في زمننا المعاصر.

تمت الأسئلة بعون الله وتوفيقه

تم بحمد الله